غزوات الرسول ﷺ الميسرة

صلى الله عليه وسلم



اسم الكتاب : غزوات الرسول الميسرة

اعداد الأستاذ : عادل فتحي عبد الله

رقم الإيداع : ٨٤٥٨ / ٢٠١٤

نوع الطباعة : لون واحد

عدد الصفحات : ١٩٦

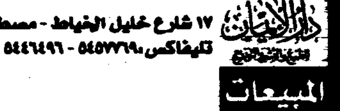
القياس : ١٧×٢٤

تجهيزات فنية : مكتب دار الإيمان

أعمال فنية وتصميم الغلاف أ. يسري حسن

٢٠١٦





الإدارة

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.

تليفاكس ٥٤٥٧٧٦٩٠ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.

تليفاكس ٥٤٥٧٧٦٩٠ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail

dar_aleman@hotmail.com

غزوات الرسول ﷺ الميسرة

صلى الله عليه وسلم

تأليف

عادل فتحي عبد الله

عفا الله عنه






بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله ، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ، ومن والاه .

وبعد :

فقد كانت غزوات الرسول ﷺ كلها دروساً عبراً ، وقد تجلَّت فيها آيات من العظمة والتضحية والفداء ، ومن خلالها نالت الجماعة المسلمة قسطاً كبيراً من التربية ، كما أنها تمثل طرفاً من سيرة الرسول ﷺ ، وقد كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم يعلِّمون أولادهم مغازى رسول الله ﷺ كما يعلمونهم الآية من القرآن الكريم، وعن طريق تلك الغزوات نتعرف عن كثب على حياة خير الخلق والمرسلين محمد ﷺ ، وعلى حياة صحابته البررة خاصة فى تلك اللحظات العصيبة ، والأوقات الحرجة ، التى يظهر فيها معادن الناس ، وأخلاقهم بغير تكلف .

ففى تلك الغزوات تجلَّت بطولاتٌ نادرةٌ وحبٌ لشخص رسول الله ﷺ ليس له مثيل ، وتضحية عزيزة بالنفس والمال فى سبيل نصرة هذا الدين ، والذود عنه سعياً للشهادة فى سبيل الله ، كأن الموت حياة ، وهو كذلك ، ألم تسمع قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا

فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [١] .

وتلك الدروس لم تكتب تسلية للوقت أو تسرية للنفس، وإنما كتبت لتوقظ الإيمان فى القلوب ، وتلهب الحماس والكفاح فى النفوس ، فى وقت تحتاج فيه الأمة إلى شباب ناضج ، زكى القلب ، نيِّر الفكر ، موفور الحماسة ، راسخ الإيمان ، على ثقة بدينه ، وبنصر الله جنده .

قال تعالى : ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [٢] .

فعودة حميدة إلى كتاب العزيز والسُّنة الصحيحة ، والسيرة العطرة ، لتحيا الأمة ، وتنكشف الغمة ، ويحين الخلاص .

وهذه الدروس هى جهد المقل ، وكتابة السيرة وأحداثها تحتاج علماً غزيراً ، وفهماً عميقاً ، وزكاءً وحكمة ، فنسأل الله العلى القدير أن يغفر لنا تقصيرنا ، ويعفو عن زلاتنا ،ويتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وينفع به أبناءنا وبناتنا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عادل فتحي عبد الله

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٦٩) .

(٢) سورة محمد ﷺ الآية (٧) .

[غزوة بدر الكبرى]

الزمان : فى ١٧ من رمضان فى السنة الثانية من هجرة الرسول ﷺ.

المكان : وادى بدر ، يبعد حوالى ١٦٠ كيلو متر عن مدينة رسول الله ﷺ .

أطراف الغزاة :

كانت بين المسلمين بقيادة رسول الله ﷺ ، ومشركى قريش بقيادة عدو الإسلام وعدو الله أبى جهل عمرو بن هشام .

العدة والعتاد : كان المسلمون يومئذ ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً (٣١٤ رجلاً) ، لم يخرجوا لقتال ، وإنما خرجوا طلباً للعير ، فلم يكن معهم سوى سبعين بعيراً ، يتعاقبون عليها ، ولم يحملوا سوى سيوفهم ، بينما كان عدد المشركين « ٩٥٠ » مقاتلاً خرجوا فى كامل عدتهم وعتادهم يريدون الحرب ، فكان معهم أكثر من مائة فرس وثلاثمائة بعير .

أحداث الغزوة :

ترامى إلى مسامع المسلمين بالمدينة أن قافلة ضخمة لقريش مقبلة من الشام ، فيها أموال قريش ، وتجارة من تجاراتهم ، محملةً بالخير

الكثير ، وعليها ثلاثون رجلاً يقودهم أبو سفيان بن حرب .

فندب رسول الله ﷺ المسلمين إليها ، عسى الله أن يوفقهم فى النيل فيها ، وذلك لأن المسلمين حين هاجروا إلى المدينة استولى مشركو قريش على ديارهم وأموالهم ، فكان الخروج لهذه القافلة والنيل منها بمثابة التعويض عما فقده المسلمون وتركوه فى مكة ، فلم يكن فى نية المسلمين قتالاً ، وإنما خرجوا يقصدون العير « القافلة » .

ولكن داهية العرب أبا سفيان بن حرب قائد القافلة لم يكن ليغفل عن ذلك ، فهو يعرف أنه على قافلة ضخمة ، وأن المسلمين فى المدينة قد تركوا ديارهم وأموالهم ، وأصبحوا فى المدينة فقراء - إلا من الإيمان والهدى - فبعث أبو سفيان العيون تستطلع الأخبار ، فتنامى إلى مسامعه أن المسلمين فى المدينة يتجهزون للإغارة على القافلة فعلاً والاستيلاء عليها .

ففكر أبو سفيان ودبر ، وأحكم خطته ، فبعث إلى المشركين فى قريش رسالة خطيرة على لسان أحد رجالهم ويدعى ضمضم بن عمرو ، وقد أبلغ ضمضم فى توصيل الرسالة ، فدخل مكة يصرخ وهو يركب بعيره بعد أن جدع أنفه [1] ، وحول رحله [2] ، وشق قميصه ،

---

(١) جدع أنفه : يعنى قطعها .
(٢) حول رحله : يعنى جلس فى وضع معكوس على البعير .

وصاح يقول : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة ! أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه ... الغوث .. الغوث ... .

فخرجت قريش لم يتخلف أحد من أشرافها ، إلا أبا لهب بعث رجلاً مكانه ، فحملوا معهم العدة والعتاد ، وكل ما يحتاجه المقاتل من المال والسلاح .

وطارت الأخبار إلى رسول الله ﷺ أن قريشاً قد علمت بنبأ المسلمين ، وخرجت بكل رجالها لحربهم ، فماذا يفعل رسول الله ﷺ ؟! ، أيرجع إلى المدينة ويحتمى بها وأصحابه ، أم يواجهون المشركين فى حرب غير متكافئة من ناحية العدة والسلاح ؟! ...

إنها لن تكون قافلة بها ثلاثون رجلاً يسلمون بدون قتال ليأخذها المسلمون عوضاً عن أموالهم المنهوبة فى مكة وديارهم المسلوبة ، ولكنها حربٌ مع جيش يقترب من الألف مقاتل ، وجيش مدجج بالسلاح ، ماذا يفعل رسول الله ﷺ ؟! .

تذكر الرسول ﷺ أن الله قد وعده إحدى الطائفتين إما « العير » وإما « النفير » القتال والنصر بإذن الله ، قال الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ**

وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [(١)].

فاستشار النبى عليه السلام أصحابه فى الأمر ، فوقف فيهم وقال : أشيروا عليّ أيها الناس . فقام أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – فأحسن القول ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [(٢)] ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد [(٣)] ، لقاتلنا معك حتى تبلغه ، فدعا له رسول الله ﷺ ، ثم قال رسول الله ﷺ : أشيروا عليّ أيها الناس – يقصد الأنصار لأن الذين تكلموا من المهاجرين – والأنصار قد بايعوه على الحماية فى المدينة وليس خارجها ، فقام سعد بن معاذ وهو رجل من سادة الأنصار ، فقال : والله لكأنك تريدنا يارسول الله ؟! قال : نعم ، قال : لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يارسول الله لما أردت ، فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته

---

(١) سورة الأنفال الآيات « ٧ ، ٨ » .
(٢) سورة المائدة الآية « ٢٤ » .
(٣) براك الغماد : مكان بعيد باليمن .

لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد ، وإنا لصبر فى الحرب ، صُدُقٌ عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك .

ففرح رسول الله ﷺ بكلام سعد ، ثم قال للمسلمين : سيروا على بركة الله وأبشروا ، فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين (١) ، والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم (٢) ، وسار القوم حتى وصلوا قريباً من بدر ، وتنامى إلى علم المسلمين أن المشركين على مقربة من بدر أيضاً ، ويتجهون الآن قريباً منهم ، هذا وأبو سفيان يسعى بقافلته طالباً النجاة والفرار ، وحين وصل قريباً من بدر وجد دلائل على أن المسلمين قريب منه ، فسلك طريقاً مخالفاً للطريق المعتاد ، ونجا بقافلته ، ثم بعث لقريش رسالة أخرى يقول فيها : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم وأموالكم أما وقد نجونا فارجعوا إلى مكة .

وحين وصلت رسالة أبى سفيان قريشاً ، كان الرأى السائد لدى شرفائها وسادتها الرجوع إلى مكة ، وعدم التعرض لمحمد وأصحابه ، طالما أن القافلة قد نجت ، لكن الذى أصرَّ على القتال ، وأجَّجَ نار الحرب أبو جهل عدو الله ، وكأنه كان يسعى لحتفه ، فقال قولته

---

(١) احدى الطائفتين : يقصد طائفة من المشركين فى القافلة « العير » أو طائفة المشركين المقاتلين الذين استنفرهم أبو جهل للقتال « النفير » .

(٢) مصارع القوم : الأماكن التى سوف يقتل فيها المشركون بإذن الله .

الشهيرة : والله لا نرجع حتى نرد بدراً ، فنقيم عليه ثلاثاً فننحر الجزور [١] ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان [٢] ، وتسمع بنا العرب ، فلا يزالون يهابوننا أبداً ... ومضى المشركون فى طريقهم إلى بدر لملاقاة المسلمين ، حتى وصلوا إلى العدوة القصوى .

والمسلمون فى الإتجاه المقابل قد اقتربوا من العدوة الدنيا وعسكروا ، فقام رجل منهم يدعى الحباب بن المنذر ، فقال لرسول الله ﷺ : « أهذا المنزل أنزلكه الله أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ ، قال : بل هى الرأى والحرب والمكيدة ، قال الحباب : فإن هذا ليس المنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نغوّر [٣] ، ما وراءه من الآبار ، ثم نبنى عليه حوضاً فنملؤه ماءً ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ، ولا يشربون .

فقال رسول الله ﷺ : لقد أشرت بالرأى ، ثم فعل ما أشار به الحباب .

واقترب موعد اللقاء ، وأصبح الكفار على مرمى البصر من المسلمين ، فنظر إليهم رسول الله ﷺ ودعا الله فقال : « اللهم هذه

---

(١) الجزور : يعنى الإبل .
(٢) القيان : يعنى الجوارى المغنيات .
(٣) نغور : يعنى ندفن ونطمس .

قريش ، قد أقبلت بخيلائها [١] ، وفخرها ، تحادُّ وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى ، اللهم أحنهم الغداة » [٢] ، ثم جاء سعد بن معاذ فاقترح على النبى ﷺ أن يبنى له عريشاً يكون فيه بمأمن ، حتى إذا انهزم المسلمون لحق رسول الله ﷺ بالمدينة ، وفيها باقى المسلمين الذين لم يخرجوا للغزوة لعدم علمهم بالحرب ، فوافق رسول الله ﷺ على هذا الاقتراح ، وطمأن المسلمين جميعاً بأن النصر حليفهم إن شاء الله .

ثم بدأ القتال فى صبيحة يوم الجمعة الموافق السابع عشر من رمضان فى السنة الثانية للهجرة ، والتقى الجمعان بقدر الله تعالى ، ولو تواعدوا لما التقوا بمثل هذه الصورة ، ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولاً .

قال تعالى : ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢) ﴾ [٣] .

---

(١) الخيلاء : الكبر والإعجاب .
(٢) أحنهم الغداة : أهلكهم .
(٣) سورة الأنفال الآية « ٤٢ » .

وبدأ الهجوم من قبل جحافل الشرك ، فتقدم الأسود بن عبد الأسد نحو بئر بدر يريد أن يشرب منه عنوة لقهر قوة المسلمين ، فتصدى له أسد الله حمزة بن عبد المطلب ، فضربه بالسيف فأطاح بقدمه بنصف ساقه فوقع على ظهره ، فأخذ يحبو بسرعة نحو الحوض ليبِّر قسَمه بأن يشرب من الحوض ، فوقع فيه فقتله حمزة .

ثم خرج ثلاثة من المشركين يريدون المبارزة بالسيف ، وهم عتبة بن ربيعة ، وأخوه شيبة وابنه الوليد ، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار ، فلم يرضوا بمبارزتهم ، وقالوا : أخرجوا إلينا أكفاءنا - يعنى من المهاجرين - فخرج إليهم ثلاثة من المهاجرين وهم : عبيدة بن الحارث وحمزة ، وعليّ ، فبارز حمزة شيبة فلم يمهله فقتله ، وبارز عليّ الوليد ابن عتبة فأجهز عليه أيضاً ، أما عبيدة وعتبه فطالت بينهما المبارزة ، جرح خلالها كل منهما الآخر ، فحمل حمزة وعليّ على عتبه فأجهزا عليه ، وحملا صاحبهما ، فانتصر المهاجرون الثلاثة على المشركين الثلاثة .

ثم دنا القوم من بعضهم البعض ، ودارت رحى الحرب ، وأعمل المسلمون السيوف فى رقاب أعداء الله ، وأبلوا بلاءً حسناً ، وضرب الجنود المسلمون أروع المثل فى التضحية والفداء ، فهذا عمير بن الحمام يسمع رسول الله ﷺ يقول : « **والذى نفس محمد بيده ، لا**

يقاتلهم اليوم رجلٌ فيقتل صابراً محتسباً ، مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة »، وقد كان عمير بن الحمام يأكل تمرات بيده فألقى بها من يده ، وقال : بخ بخ أفما بينى وبين الجنة سوى أن يقتلنى هؤلاء ، فدخل فى غمار القتال يقاتل المشركين حتى قُتِلَ فى سبيل الله .

ويثبّت الله المؤمنين ، فينزل عليهم المطر ليطهرهم ، وليثبت الأرض من تحت أقدامهم ، ويمنحهم سنة من النوم فى وقت الراحة حتى يطمئن قلوبهم ، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ [1] .

ويُنزلُ الله الملائكة تقاتل مع المؤمنين ، استجابة لدعوة الرسول ﷺ ، قال تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [2] ، وتنتصر الفئة المؤمنة القليلة العدد والعُدة والعتاد على الفئة الكافرة الكثيرة العدد والعُدة والعتاد ، فى أول لقاء بين الإيمان والكفر ، بين دولة الإسلام

---

(١) سورة الأنفال الآية « ١١ » .
(٢) سورة الأنفال الآيتان « ٩، ١٠ » .

ودولة الكفر والشرك ، لقد كان نصراً حاسماً مؤزراً ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١) ، وكانت حصيلة القتلى والأسرى فى المعركة سبعين قتيلاً من المشركين ، ومثلهم من الأسرى ، وفرار فلول الشرك المنهزمة ، وكان معظم القتلى من صناديد الكفر والشرك ، ولم يقتل من المسلمين سوى أربعة عشر رجلاً ، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار ، قُتلوا شهداء فى سبيل الله فى جنة عرضها السماوات والأرض أُعدت للمتقين ، واستشار النبى ﷺ أصحابه فى شأن الأسرى من المشركين ، فكان رأى عمر أن يُقتلوا جميعاً لأنهم أعداء الإسلام وأئمة الكفر ، وكان رأى أبى بكر أن يُأخذ منهم فدية تكون قوة للمسلمين ويتركهم عسى الله أن يهديهم ، ومن لم يستطع منهم دفع الفدية وكان يعرف القراءة والكتابة أنْ يعلِّم عشرة من أبناء المسلمين الكتابة ، ومال النبى عليه السلام لرأى أبى بكر وأخذ به ، ثم نزل القرآن الكريم يؤيد رأى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ (٢)

---

(١) سورة البقرة الآية « ٢٤٩ » .
(٢) سورة الأنفال الآيات « ٦٧ ، ٦٨ » .

الدروس المستفادة من الغزوة :

١ - الشوري :

أساس ومبدأ من مبادئ الدولة فى الإسلام ، ويتضح هذا الرأى فى الغزوة من خلال مشورة الرسول ﷺ المسلمين عند تحول طلب العير إلى النفير ، وعند قبول مشورة الحباب بن المنذر فى تغيير مكان الجنود إلى أدنى ماء من بدر ... قال الله تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[1] ، ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾[2] .

٢ - الدعاء والتضرع إلي الله تعالي :

ويظهر ذلك جلياً فى إلحاح النبى ﷺ بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى أن ينصر المؤمنين ، بالرغم من الوعد بالنصر ، وذلك لأن الدعاء عبادة الله تعالى .

٣ - حب الرسول القائد وحمايته ﷺ :

ويظهر ذلك فى بناء عريش للنبى ﷺ ، ووقوف جمع من الصحابة حماية وحراسة له ، لأن الرسول ﷺ أمة فى ذاته ، وحمايته حماية للإسلام ، وهو القائد للمعركة ، وحماية القائد واجب مقدس ، لأن مقتل القائد هزيمة للجنود فى غالب الأحيان .

---

(١) سورة الشورى الآية « ٣٨ » .

(٢) سورة آل عمران الآية « ١٥٩ » .

٤ - حب الشهادة في سبيل الله :

مثل ما يظهر فى موقف عمير بن الحمام واستشهاده ، والبطولات التى حققها المسلمون على المشركين ، حققوها رغم قلة عددهم مقارنةً بالمشركين ، وضعف إمكاناتهم الحربية ، وقوة عُدة وعتاد وسلاح المشركين ، وثبات المسلمين وعدم تزعزعهم أو فرارهم أمام قوة المشركين العسكرية .

٥ - النصر من عند الله :

إن النصر لا يكون بقوة المال والسلاح وإن كان كلاهما مطلوباً ، ولكن يكون بقوة العقيدة والإيمان والصبر عند القتال ، وعدم الفرار ، والثبات ، قال تعالى : ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝ ﴾ [1] ، ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ ﴾ [2] .

٦ - ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [3]

تتجلى آيات الله تعالى فى هذه الغزوة بنصر المؤمنين فى مواقف عدة لا تكون فى حساب البشر ، ومنها نزول المطر تثبيتاً لأقدام المؤمنين ، وتطهيراً لهم ، إنزال النوم عليهم قبل المعركة لتثبيت قلوبهم

(١) سورة محمد ﷺ الآيات « ٧ ، ٨ » .
(٢) سورة الأنفال الآية « ١٠ » .
(٣) سورة المدثر الآية « ٣١ » .

وطمأنتهم ، أنزل ملائكة من السماء تحارب مع المؤمنين ، وتبشرهم بالنصر .

٧ - الثقة فى وعد الله ونصره :

فقد رأينا كيف أن رسول الله ﷺ قال فى بداية الغزوة : والله لكأنى أرى مصارع القوم ، وما ذكر من أحد إلا ومات فى ذلك المكان وقتل فيه أثناء الغزوة .

٨ - اختلاف الغاية والهدف :

وجدنا كيف أن المشركين يقاتلون كبرياءً وخيلاء ، يبغون إعلاء كلمة الباطل ، ويضربون الطبول ويعزفون المعازف ويشربون الخمر ، أما المسلمون فإنهم يقاتلون فى سبيل غاية نبيلة وشريفة ألا وهى إعلاء كلمة الله ، وإقامة العدل ، وحماية الضعفاء ، ونصرة المظلومين ودفع العدوان .



أسئلة :

١ – من قائد قافلة قريش القادمة من الشام ؟ ، أذكر موقفاً يدل على دهاءه .

٢ – من الذى أجج نار الحرب فى صفوف المشركين ، بعدما علموا بنجاة القافلة التجارية القادمة من الشام ؟ .

٣ – ماذا كان موقف الأنصار من خوض الحرب ضد المشركين؟ .

٤ – أذكر موقفاً يدل على الشوى بين الرسول ﷺ القائد وبين المسلمين الجنود فى المعركة .

٥ – من القائل : بخٍ بخٍ ... ، أما بينى وبين الجنة سوى أن أقاتل هؤلاء فأقتل فأدخل الجنة ؟ ، ثم انطلق يقاتل المشركين حتى قُتل ، وعلى أى شيء يدل هذا الموقف ؟ .

٦ – أذكر نتائج غزوة بدر .

٧ – استشار النبى ﷺ عليه الصلاة والسلام صحابته بشأن أسرى بدر من المشركين فماذا كان رأى أبى بكر ؟ وماذا كان رأى عمر؟ ، وبأيهما أخذ النبى عليه السلام ؟ ، وبم نزل القرآن فى هذا الشأن ؟ .

[غزوة بني قينقاع]

الزمان : دام حصار يهود بنى قينقاع خمسة عشر ليلة من النصف من شوال فى العام الثانى للهجرة إلى ليلة هلال ذى القعدة من نفس العام .

المكان : ديار يهود بنى قينقاع حيث كانوا يسكنون داخل المدينة فى حى يسمى باسمهم .

أطراف الغزوة : بين المسلمين واليهود،ولم يذكر عدد المسلمين الذين شاركوا فى الحصار بالتحديد ، أما اليهود فهم على أقل تقدير سبعمائة من الرجال المحاربين بخلاف النساء والأطفال والعجائز .

أحداث الغزوة :

فى سوق يسمى بسوق بنى قينقاع بالمدينة جاءت امرأة مسلمة تبيع حاجات لها ، وبعد أن قضت تجارتها ، قعدت إلى صائغ لتشترى منه شيئاً ، فجاء بعض اليهود يراودون هذه المرأة المسلمة على كشف وجهها ، فأبت أن تفعل ، فجاء أحدهم فعمد إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءتها ، فضحك اليهود جميعاً ، فصاحت المرأة المسلمة ، فوثب رجل مسلم على ذلك اليهودى فقتله ،

فتجمع اليهود على المسلم فقتلوه .

وتجلى واضحاً غدر اليهود وخيانتهم وتآمرهم لكشف عورات المسلمين ، واستصرخ أهل المسلم المقتول المسلمين ، ووقع الشر بينهم وبين اليهود ، وتحصن اليهود بديارهم ، وكان ذلك أول نقض للعهد وأول يهود ينقضون العهد مع رسول الله ﷺ .

وأعطى رسول الله ﷺ لواء المسلمين حمزة بن عبد المطلب ، وسار بالجنود فحاصرهم خمس عشر ليلة ، حتى استسلموا ، ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، وحينئذ تدخل رأس النفاق عبد الله بن أبى بن سلول ، فأخذ بثوب رسول الله ﷺ وقال : أحسن إلى مواليَّ [(١)] ، أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعونى الأسود والأحمر [(٢)] ، تحصدهم فى غداة واحدة ، وكان رجل آخر من المسلمين له من اليهود عهد مثل عبد الله بن أبى بن سلول ، ألا وهو عبادة بن الصامت لكنه كان مسلماً حقاً ولم يفعل مثلما فعل المنافق عبد الله ابن أُبى ، وإنما قال : إننى بريئ من حلف هؤلاء اليهود ، وإنما أتولى الله ورسوله والمؤمنين ، فنزل قوله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ**

---

(١) يعنى أوليائى ، فقد كان على عهد معهم من قبل .
(٢) الأسود والأحمر : يقصد العرب والعجم .

فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) ﴾ (١) .

ونزل فى عبادة بن الصامت قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) ﴾ (٢) .

ونتيجة لإلحاح عبد الله بن أبى بن سلول على رسول الله ﷺ ألاّ يقتل أولئك اليهود الغادرين ، قال عليه السلام له : هم لك ، على أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها ، فخرجوا إلى أذرعات بالشام ، وهلك أكثرهم هناك .



---

(١) سورة المائدة الآية « ٥١ » .

(٢) سورة المائدة الآية « ٥٦ » .

الدروس المستفادة :

١ - حجاب المرأة المسلمة واجب شرعى ، ينبغى المحافظة عليه ، قال الله تعالى : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [١] .

٢ - سعى اليهود الدائم ومنذ القدم لكشف عورات النساء وخاصة المسلمات ، وهم اليوم أصحاب أشهر بيوت الأزياء العالمية التى تسعى لكشف العورات وابتداع أنواع من الثياب تُظهر عورات النساء وتكشف أجسادهن بطريقة تغرى الشباب على الوقوع فى الرذيلة .

٣ - رد المسلمين بقوة ضد أى انتهاك لحرمة المسلم أو المسلمة ، وعدم التهاون فى ذلك ، لأن التهاون فى هذا معناه ضرب المجتمع المسلم فى الصميم ، وإعلان الحرب على العفة والشرف ، والاستهتار بكرامة المسلمين ، وهذا ما يحدث اليوم حيث تُنتهك حرمات المسلمين لإفتقاد المسلمين لقائد مسلم يغار على حرمات الله حين تنتهك ويرد بكل قوة على كل معتد ، ويأخذ على يد كل مستهتر بحرمة المسلمين .

---

(١) سورة النور الآية « ٣١ » .

٤ – اليهود أهل غدر وخيانه ولا يوفون بالعهود والمواثيق ، ولا يستمعون إلا إلى لغة القوة ، وكلما عاهدوا عهداً نبذوه ، وهذا واضح من نقضهم العهود منذ القدم وقبل بعثة النبى ﷺ وبعدها ، وسيظهر ذلك فى غزوات مقبلة ، وهو اليوم يظهر فى الأراضى الفلسطينية المحتلة .

٥ – المسلم الحق هو من يتولى الله ورسوله والمؤمنين ، بينما المنافق هو من يعاهد اليهود وأعداء الله ، وهذا يتضح فى موقف عبد الله بن أُبى بن سلول ، وموقف المسلم الصادق عبادة بن الصامت ، الذى نقض عهده مع من نقضوا العهد ، ولم يتولهم ، أو يدافع عنهم وهم قد آذوا المسلمين ، واستهتروا بكرامتهم وشرفهم .

٦ – المسلم الحق أيضاً من يغار على انتهاك حرمة المسلم أو المسلمة ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويدافع عن الحق حتى لو كان وحده ، ولا يخاف ولا يخشى فى الله لومة لائم .

الأسئلة :

١ - من حامل لواء المسلمين فى حصار بنى قينقاع ؟ .

٢ - كم دام حصار اليهود فى بنى قينقاع ؟ وكم كان عددهم ؟ .

٣ - بماذا حكم عليهم رسول الله ﷺ بعد تدخل رأس المنافقين وشفاعته لهم ؟ .

٤ - ماذا كان موقف عبادة بن الصامت الذى كان حليفاً ليهود بنى قينقاع من قبل ؟ وعلى ماذا يدل ؟ .

٥ - على ماذا يدل قتل الرجل المسلم لليهودى الذى كشف عورة المسلمة .

٦ - اليهود أهل غدر وخيانة ، أذكر آية من كتاب الله تعالى تدل على ذلك .



[غزوة أحد]

الزمان : عسكر جيش المشركين يوم الجمعة ١٦ من شوال فى العام الثالث للهجرة ، تم تعبئة جيش المسلمين صباح يوم السبت الموافق السابع عشر من شوال فى اليوم التالى لعسكرة جيش المشركين.

المكان : فى مكان يقال له عينين قرب المدينة ، قرب جبل أُحد .

أطراف الغزاة : جيش المشركين : كان يتألف من ثلاثة آلاف مقاتل من قريش والحلفاء والأحابيش ، وقد كان معهم ثلاثمائة بعير ومائتا فرس ، وأكثر من سبعمائة درع ، يقودهم أبو سفيان بن حرب .

جيش المسلمين : كان يتألف من ألف مقاتل ، وبعد تخلف المنافقين أصبح سبعمائة مقاتل ، فيهم مائة درع وخمسون فارساً ، وقيل لم يكن من الفرسان أحد .

الدوافع والأسباب :

أصابت فلول الشرك المنهزمة فى بدر الحسرة على من مات وقُتل فى بدر على أيدى المسلمين ، ودفعهم ذلك للثأر لهؤلاء ، ولمعاودة الكرة لحرب المسلمين ، فسعى رجال من أشراف مكة إلى أبى سفيان ابن حرب يكلمونه بأن يعينهم بالمال الذى كان فى تجارة مكة على

حرب رسول الله ﷺ والأخذ بالثأر لقتلاهم فى بدر ، وأقنعوا بذلك جمعاً من أصحاب الأموال ليعينوهم على ذلك ، وتحركت فى قلوب الناس جميعاً فى مكة حمية الأخذ بالثأر لمن قتل فى بدر ، فخرج المشركون فى جيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل يقودهم أبو سفيان بن حرب يحمل معه زوجته هند بنت عتبة والتى قُتل أبوها عتبة بن ربيعة فى بدر وقتله حمزة بن عبد المطلب ، ولها قصة سنذكرها لاحقاً ، وحمل بعض المشركين معهم نساءهم ، حتى يكون ذلك دافعاً لهم فى الحرب وعدم الفرار من المعركة .

أحداث الغزوة :

ولما وصلت جيوش المشركين فى مكان قرب أُحد ، ووصلت الأخبار المدينة ، اجتمع النبى عليه السلام وأصحابه يستشيرهم فى الأمر ، هل يخرج لملاقاة المشركين خارج المدينة أم يتحصن المسلمون بالمدينة فإن دخل المشركون المدينة قاتلوهم وهزموهم بإذن الله .

وكان النبى ﷺ قد رأى رؤيا فخرج للمسلمين فقال لهم: « إنى قد رأيت الليلة بقراً لى تذبح ، ورأيت فى ذباب سيفى [١] ، ثلماً ، ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة [٢] ، فأولتها المدينة ، فإن

---

(١) ذباب السيف : يعنى حد السيف .

(٢) وذكر النبى عليه السلام تأويل الرؤيا فقال : « **أما البقر فهى ناس من أصحابى يقتلون ، وأما الثلم الذى فى ذباب سيفى فرجل من أهل بيتى يقتل** » ، وقد كان هذا الرجل هو حمزة رضي الله عنه .

رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها » ، فرأى بعض شيوخ المسلمين هذا الرأى ، لكن غالبية المسلمين والذين لم يشهدوا بدراً أرادوا الخروج لقتال المشركين خارج المدينة ، وقالوا : يا رسول الله أخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنا جبناً عنهم وضعفنا .

ولما رأى النبى ﷺ أن رأى غالبية المسلمين الخروج لملاقاة العدو ، دخل بيته فلبس لامته ، فندم الناس ، وقالوا لقد استكرهنا رسول الله ، فلما خرج إليهم رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله رأينا أنا قد استكرهناك للخروج ، فإن شئت فاقعد ، فقال عليه الصلاة والسلام : « ما كان لنبى إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل » ، فلم يرد رسول الله ﷺ أن يتردد المسلمون فى قراراتهم ، وإنما قد أخبرهم فى البداية برأيه وبالرؤيا التى رآها ولم يقتنع غالب الجيش بالقعود فى المدينة ، ورأوا الخروج للحرب ، وانتهى الأمر ، فانتهت المشورة على قرار الحرب خارج المدينة ، ودخل النبى عليه السلام ولبس زى الحرب ، فلا داعى للتردد من بعد ، ولا داعى للضعف ، وإنما التوكل على الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ [1] .

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٥٩ » .

وخرج رسول الله ﷺ فى ألف من أصحابه رضوان الله عليهم حتى إذا وصلوا إلى مكان يسمى الشوط بين المدينة وأُحد ، انخذل رأس المنافقين عبد الله بن أُبى بن سلول ، فرجع إلى المدينة ورجع معه حوالى ثلاثمائة مقاتل من المنافقين الذين تبعوه ، يعنى انخذل نحو ثلث الجيش تقريباً .

فتبعهم الصحابى الجليل عبد الله بن عمرو بن حرام يقول لهم : ياقوم ، أذكّركم الله ألاَّ تخذلوا قومكم ونبيكم ، وتتركوهم أمام العدو وحدهم ، قالوا : لو نعلم قتالاً لاتبعناكم ، ولكننا نرى أنه لن يكون قتال ، فلما يئس منهم عبد الله بن حرام قال لهم : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغنى الله عنكم نبيه عليه السلام .

قال الله تعالى يصف حال أولئك المنافقين المتخاذلين : ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) ﴾ [١] .

ومضى رسول الله ﷺ فى أصحابه السبعمائة مقاتل حتى وصل

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٦٧ » .

قرب جبل أُحد ، فجعل على الرماة عبد الله بن جبير ، وعددهم خمسون رامياً وقال لهم : أنضحوا « ادفعوا » عنـا بالنبل ، لا يأتوننا من خلفنـا ، إن كانـت لنـا أو علينـا لا نؤتين من قبلكم ، يعنـي لا تنزلوا من على الجبل مهما تكن الأسباب حتى لو انتصرنا حتى لا يأتى المشركون من خلفنا ، ويملكوا ناصية الحرب ، فأنتم حماة ظهورنا .

وقد أجاز رسول الله ﷺ حينئذ اثنين من الشباب وكان قد ردهما لصغر سنهما ، لكنهما كان يتمنيان قتال المشركين وهما رافع بن خديج ، وسمرة بن جندب، أجاز رافعاً أولاً لما قيل يارسول الله إنه رافعاً رامٍ « يجيد الرمى بالنبل - السهام » فأجازه الرسول ﷺ فقيل له إن سمرة يصرع [1] رافعاً فأجازه أيضاً ، ولم يبلغا الخامسة عشر سنة ، فجاء جمع من الشباب يريدون أن يقاتلوا وقد كانوا صغاراً دون الخامسة عشرة فردهم رسول الله ﷺ ، ولم يوافق على اشتراكهم فى القتال وهم أسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، والبراء بن عازب ، وعمرو بن حزم ، وأُسيد بن ظهير ، وقد أجازهم رسول الله ﷺ فى غزوة تالية وهى غزوة الأحزاب حينما كانوا قد بلغوا الخامسة عشر سنة .

---

(١) يصرع رافعاً : يعنى يفوز عليه فى المصارعة .

ثم أخرج النبى ﷺ سيفاً فقال : « **من يأخذ هذا السيف بحقه ؟!** » ، فقام رجل من الأنصار يدعى بأبى دجانة « سماك بن خرشة » فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به العدو حتى ينحنى ، قال : أنا آخذه يارسول الله بحقه ، فأعطاه إياه .

وكان أبو دجانة رجل حربٍ ، شجاعاً ، بطلاً مغواراً ، فأخرج عصابته الحمراء واعتصب بها ، وكان يفعل ذلك عندما يقاتل ، ثم ركب فرسه رافعاً سيفه يتبختر بين صفين ، فقال رسول الله ﷺ : « **هذه مشية يبغضها الله إلا فى هذا الموطن** » .

والتقى الجمعان ، وقامت هند بنت عتبة فى النسوة اللاتى معها فى صفوف المشركين ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ، يحرضنهم على القتال وهن يقلن :

إن تقبلوا نعانقْ ... ونفرش النمارق [1]

وإن تدبروا نفارق ... فراقاً غير وامق [2]

وقاتل المسلمون قتال البواسل ، يحملون على المشركين فيجهزون عليهم ويحصدونهم حصداً ، فقاتل أبو دجانة بالسيف الذى أعطاه إياه

---

(١) النمارق : يعنى الوسائد .

(٢) غير وامق : غير محب .

رسول الله ﷺ فكان لا يلقى أحداً من المشركين إلا قتله ، حتى رأى إنساناً يحمس الناس حماساً شديداً ، فلما حمل عليه بالسيف ولول ، فإذا هى امرأة وكانت هند بنت عتبة ، يقول أبو دجانة : فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأةً فتركها بعد أن كاد يطيح برأسها ، وقاتل حمزة بن عبد المطلب قتال البواسل الشرفاء فقتل حامل لواء المشركين أرطأه بن عبد شرحبيل ، وقتل سباع بن عبد العزى ، يقول وحشى قاتل حمزة : والله إنى لأنظر إلى حمزة يهز الناس بسيفه ، ما يُبقى منهم أحداً ، مثل الجمل الأورق .

وظل حمزة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يحصد رؤوس المشركين حصداً حتى جاءه وحشى وهزَّ حربته فرماه بها ، فوقعت فى ثنته [١] ، حتى خرجت من بين رجليه فقتل ، وقاتل مصعب بن عمير - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قتال الأبطال وكان يحمل راية المسلمين ، حتى قتله ابن قمئة الليثى وهو يظن أنه رسول الله ﷺ ، فرجع إلى قريش يقول : قتلت محمداً ، وبعدما قتل مصعب بن عمير حمل الراية من بعده عليّ بن أبى طالب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فقاتل قتالاً شرساً ، ويقول أنا أبو القصم « أبو الدواهى » فسمعه حامل لواء المشركين أبو سعد بن أبى طلحة فدعاه لمبارزته بالسيف ، فبارزة

---

(١) ثنته : أسفل بطنه .

عليّ فرضبه ، والثانية كانت القاضية عليه ، فقتله عليّ .

وقاتل حنظلة بن أبى عامر قتالاً شديداً حتى قُتل ، فوجدوه وعليه الماء ، فقال رسول الله ﷺ : « **إن صاحبكم - يعنى حنظلة - غسلته الملائكة** » [1] ، وسُمى حنظلة « غسيل الملائكة » .

وقاتل عمرو بن الجموح قتالاً شديداً حتى قُتل ، وعمرو هذا كان رجلاً أعرج ولم يكن يرضى أبناؤه بأن يشترك فى القتال لعرجته وقالوا له : نحن نكفيك القتال ، فأنت رجل معذور وليس عليك حرج ، فقال لهم : والله إنى أريد أن أطأ بعرجتى هذه الجنة ، وإنى أريد أن أموت شهيداً فى سبيل الله ، وكان ما تمنى .

وقاتل الأصيرم حتى قتل متأثراً بجراحه ، والأصيرم هذا هو عمرو بن ثابت بن وقش ، وقد أسلم وقت الغزوة وقاتل مع المسلمين قتال الأبطال ، وقد كان قومه لا يعلمون بإسلامه ، فوجوده يلفظ أنفاسه الأخيرة ، فسألوه ، فقال : آمنت بالله ورسوله ثم أخذت سيفى فغدوت على رسول ثم قاتلت حتى أصابنى ما أصابنى ثم لفظ أنفاسه الأخيرة ، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال : « **إنه لمن أهل الجنة** » فكان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول عنه : حدثونى عن رجل دخل الجنة لم يصل

---

(١) سأل الناس زوجته بعد ذلك عن أمره ، فقالت لقد سمع داعى الجهاد فخرج للقتال طلباً للشهادة فى سبيل الله ، وقد كانت جنباً لم يغتسل .

قط ، ثم يذكر قصة الأصيرم .

وظل جنود الإسلام يحصدون رؤوس الكفر حصداً حتى فرَّ المشركون وانتصر المسلمون عليهم نصراً عظيماً ، وأخذوا يجمعون الغنائم ، فلما رأى الرماة أن النصر حليف المسلمين نزلوا من على الجبل ليشاركوا المسلمين فى جمع الغنائم ، ونسوا أوامر رسول الله لهم أن لا ينزلوا أبداً حتى يأمرهم بذلك ، وذكرهم بذلك أميرهم عبد الله بن جبير فلم يمتثلوا لأمره ، وقالوا إن الحرب قد انتهت ، فلنشارك أصحابنا فى الغنائم .

وظل عبد الله بن جبير مع نفر قليل ممن استجاب له ولم ينزل ، وكانوا حوالى عشرة من الرماة ، فلما وجد المشركون أن الرماة قد تركوا أماكنهم فوق أُحد جمعوا فلولهم الهاربة وأعادوا الكرة على المسلمين من الخلف ، وقتلوا عبد الله بن جبير والعشرة الذين معه من الرماة ، وملكوا ناصية الحرب والمسلمون حينئذ منشغلون فى جمع الغنائم ، وإذا بوابل من السهام ينهال على المسلمين ، فتفرقوا وتشتتوا، وأصبحوا كالشياة فى الليلة الممطرة ، وكاد يقتل بعضهم بعضاً ، وأصابت رسول الله ﷺ الحجارةُ فكسرت رباعيته [1] ،

---

(١) رباعيته : السن المجاورة للناب .

وشجت رأسه [(١)] ، وجرحت شفته ، ووقع في حفرة كان قد صنعها المشركون ليوقعوا فيها المسلمين ، فأخذ عليّ بن أبى طالب - رضي الله عنه - بيده ﷺ ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ، ومص مالك بن سنان الدم من وجهه ﷺ ثم ازدرده ، فقال ﷺ : « **من مس دمى دمه لم تصبه النار** » ، ولقد أحاط برسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار يحمونه من بطش المشركين ويذودون عنه ويقاتلون دونه ، فقتل منهم الكثير .

وكان ممن يحمى رسول الله ﷺ بنفسه وبجسده أبو دجانة فكان ينحنى عليه ، حتى كثر النبل فى ظهره ، وأبو طلحة الأنصارى كذلك ترس نفسه على رسول الله ﷺ حتى لا يصيبه سهم من سهام العدو ، وكذلك عمارة بن يزيد بن السكن ، الذى مات متأثراً بجراحه على حجر رسول الله ﷺ وغيرهم نفر كثيرون كانوا يحيطون به ﷺ ومنهم أبو بكر وعمر وعلى وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وغيرهم ، وكان هناك من النساء من كن يقاتلن دون رسول الله ﷺ مثل نسيبة بنت كعب وتدعى أم عمارة ، وقد أبلت بلاءً حسناً حتى جرحت أثنا عشر جرحاً ، ذلك أنها كانت بين يدى رسول الله ﷺ هى وزوجها « غزية بن عمرو » وابناها عبد الله وحبيب

---

(١) شجت رأسه : جرحت .

« ابنا زيد بن عاصم » يذبون عنه ﷺ فلما انكشف المسلمون جعلت تباشر القتال بنفسها بالسيف ، وترمى بالقوس ، ولما أقبل ابن قمئة يريد النبى ﷺ كانت فيمن اعترض له ، فضربها على عاتقها ضربة صار لها فيما بعد غور أجوف ، وضربته هى ضربات ، قال عليه الصلاة والسلام عنها : « ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دونى » قالت : ادع الله أن نرافقك فى الجنة يارسول الله ، قال: « **اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة** » ، قالت : ما أبالى ما أصابنى فى الدنيا [(١)] .

وفاطمة - رضى الله عنها - بنت رسول الله ﷺ ، زوج عليّ بن أبى طالب - رضي الله عنه - جعلت تمسح الدم عن وجهه ﷺ فلما رأت الدم لا ينقطع أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم .

وهناك قوم قاتلوا فى سبيل الله حتى قتلوا وهم يظنون أن محمداً ﷺ قد قُتل لِما أشاعه ابن قمئة من أنه قتل رسول الله ﷺ ، وهناك قوم ضعاف الإيمان فروا من المعركة لما سمعوا بذاك الخبر ، وقالوا : لقد مات رسول الله فعلام نقاتل إذن ، لكن أنس بن النضر - رضي الله عنه - فى

---

(١) امتاع الأسماع « ١٤٨/١ - ١٤٩ » لتقى الدين أحمد بن علي المقريزي .

جمع من المسلمين الصادقين قال لهم : إن كان رسول الله قد مات ، فما قيمة الحياة بعده ، فموتوا على ما مات عليه رسول الله ، وأخذ يقاتل فى سبيل الله حتى قُتل شهيداً ، وفى جسده بضعة وسبعون جرحاً ، لا يُعرف وجهه ، وعرفته أخته ببنانه ، وفيه وفى أمثاله نزل قوله الحق تبارك وتعالى : ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (٢٣)** ﴾ [(١)] .

ومثَّل المشركون بقتلى المسلمين ، وكان ممن مثَّلوا به حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - مثَّلت به هند بنت عتبة ، فبقرت بطنه وجدعتْ أنفهَ وأذنيه ، وأخرجت كبده فلاكتها [(٢)] ، فلم تستطع أن تستغيثها [(٣)] ، فلفظتها [(٤)] ولما انتهت المعركة، وأراد أبو سفيان بن حرب أن ينصرف صرح من أعلى الجبل بصوته ، إن الحرب سجال [(٥)] ، يوم بيوم ، وأُعل هُبل [(٦)] ، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب : قم ياعمر فأجبه [(٧)] ، فقال : الله أعلى وأجل ، لا سواء [(٨)] ، قتلانا

---

(١) سورة الأحزاب الآية « ٢٣ » .
(٢) فلاكتها : يعنى مضغتها .
(٣) تستثيغها : تتقبلها .
(٤) فلفظتها : طرحتها على الأرض .
(٥) سِجال : يعنى مداولة مرة لك ومرة عليك .
(٦) هبل : صنم كبير بمكة .
(٧) فأجابه : رد عليه .
(٨) لا سواد : يعنى لسنا وأنتم سواسية فى القتل ، فقتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار .

فى الجنة وقتلاكم فى النار ، فقام عمر فرد على أبى سفيان بما أمره رسول الله ﷺ ، فقال أبو سفيان : ونادى على عمر : ياعمر هلمَّ إلي - تعالى - ، فجاءه عمر ، فقال : أبو سفيان : أنشدكِ الله ياعمر أقتلنا محمداً ؟ ، قال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن ، قال أبو سفيان : أنت أصدق عندى من ابن قمئة - الذى قال أنه قتل رسول الله ﷺ » .

فلما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى على المسلمين : موعدنا بدر من العام المقبل ، فنادى رسول الله ﷺ على أحد أصحابه أن يرد على أبى سفيان فيقول : نعم هو بيننا وبينكم موعداً ، ثم بعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبى طالب فى آثار القوم فقال له : إن رأيتهم ساقوا الخيل وركبوا الجمال فهم فى طريقهم إلى مكة عائدين ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يبغون المدينة ، فإن كانوا كذلك فوالله لنسير إليهم ثم لنناجزنهم ، فخرج عليٌّ فى آثارهم فوجدهم ساقوا الخيل وامتطوا الإبل راجعين إلى مكة .

وبعث رسول الله ﷺ من حوله من الصحابة لينظروا فيمن استشهد فى المعركة ، فقال : «**من ينظر فيما فعل سعد بن الربيع**» - وقد كان سيداً فى الأنصار - فقام رجل من الأنصار ليبحث عنه ، فوجده فى الرمق الأخير ، فقال له الرجل : إن رسول الله بعثنى أنظر أفى

الأحياء أنت أم فى الأموات ؟ قال : أنا فى الأموات ، فأبلغ رسول الله عنى السلام ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته ، وأبلغ قومك منى السلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خُلِص إلى نبيكم ﷺ وفيكم عين تطرف ، ثم لم يبرح حتى لفظ أنفاسه الأخيرة ، ومات شهيداً فى سبيل الله .

ثم خرج رسول الله ﷺ يبحث عن حمزة بن عبد المطلب أسد الله فوجده مقتولاً ، وقد مثل به المشركون ، فبقروا بطنه وأخرجوا كبده ، وجدعوا أنفه وأذنيه ، فحزن رسول الله ﷺ لذلك حزناً شديداً ، وقال : « **والذى نفسى بيده لئن أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم** » ، فنزل قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ** ﴾ (١) ، فعفى رسول الله ﷺ ، ونهى عن المثلة » (٢) .

ثم أمر رسول الله ﷺ بدفن الشهداء جميعاً حيث قتلوا ورفض أن ينقلوا إلى مقابر أسرهم بالمدنية ، وكان ﷺ يجمع بين الرجلين من الشهداء فى أُحد فى ثوب واحد ، ثم يقول : أيهم أكثر أخذاً للقرآن ،

---

(١) النحل الآية « ١٢٧ » .
(٢) يعنى : نهى أن يُمثّل بأحد .

فإذا أشير إلى أحدهما قدمه فى اللحد ، وأمر بدفنهم بدمائهم ، ولم يغسلهم ، ولم يصل عليهم [(١)] .

ثم قال ﷺ : « **أنا شهيد على هؤلاء ، ما من جريح يجرح فى سبيل الله إلا ويبعثه الله يوم القيامة اللون لون الدم ، والريح ريح مسك** » [(٢)] .

ثم انصرف رسول الله ﷺ والمسلمون عائدين إلى المدينة ، فنزلت آيات القرآن الكريم على قلب رسول الله ﷺ لتواسى المسلمين ، قال الله تعالى : ﴿ **إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠)** ﴾ [(٣)] .

نعم ، فإن هزم المسلمون فى معركة أُحد فقد انتصروا انتصاراً حاسماً فى غزوة بدر ، والأيام يوم لك ويوم عليك ، وفى هذه المعركة استبانت معادن الناس ، وتمايز المؤمنون من المنافقين ، ولا يعرف الرجال إلا وقت الشدة ، ولابد لعلو الحق من تضحيات ، ولنصرة الدين من شهداء ، ولن تنال الجنة إلا بالجهاد والصبر والمصابرة ، قال تعالى :

---

(١) رواه البخارى ، والترمذى ، والنسائى وأحمد وابن ماجه .
(٢) حديث صحيح : رواه أحمد .
(٣) سورة آل عمران الآية « ١٤٠ » .

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ (١)

ونزلت الآيات الكريمة لتبين لهم أسباب الهزيمة بعد النصر ، فجاء قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (٢)

فهى المعصية ، معصية الرماة أمر رسول الله ﷺ ونزولهم لمشاركة المسلمين فى جمع الغنائم ، إنه تفضيل الدنيا على الآخرة ، وحب الدنيا الذى سيطر على القلوب فى لحظة من اللحظات الحاسمة ، فقلبت الموازيين وتحول النصر إلى هزيمة ، وراح عشرات الشهداء فى لحظات ، ومرت على المسلمين أوقات عصيبة ، ومن رحمة الله تعالى أن عفا عنهم ، وكفاهم مرارة الهزيمة درساً يتعلمون منه ، وليتخذوا من هذا الذى حدث درساً لا ينسى ، وعبرة وعظة ، حتى لا يتكرر مثل هذا الخطأ ، ولهؤلاء الذين انصرفوا عن المعركة حينما شاع مقتل رسول الله ﷺ ، نزل قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٤٢ » .
(٢) سورة آل عمران الآية « ١٥٢ » .

قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) ﴾ (١)

وهل معنى قتل رسول الله ترك الدفاع عن الدين ، وقتال المشركين؟! ، إن الدعوة باقية ، والذود عن الدين ، ومنافحة المشركين، واجب مقدس لا يقلل منه موت نبى أو داعية الحق ، فمن ينقلب على عقبية فلن يضر الله شيئاً ، وسينصر الله دعوته بهؤلاء الثابتين على المبدأ المناصرين للحق ، أمثال سعد بن الربيع وغيره من الصادقين ، فإن مات رسول الله ﷺ فإن الله حي لا يموت ، والمسلمون يعبدون الله تعالى ، ويجاهدون فى سبيله .

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٤٤ » .

الدروس المستفادة من الغزوة :

١ - اعتماد النبي ﷺ مبدأ الشورى الملزمة ، وذلك بتنفيذ رأى غالب المسلمين بالخروج لملاقاة العدو خارج المدينة ، رغم أنه كان يميل إلى البقاء فى المدينة مقاتلة المشركين داخلها إن دخلوا على المسلمين ، ويرى فيها الحصن الحصين فى تأويل الرؤيا التى رآها .

٢ - عند الشدائد تظهر معادن الناس ، ويعرف الخبيث من الطيب ، وقد انخذل المنافقون يوم أُحد من بداية الطريق ، وتحججوا بحجج واهية .

٣ - مشاركة الشباب فى الغزو مع رسول الله ﷺ وحبهم للقتال معه وللشهادة فى سبيل الله ، واندفاع من هم دون الخامسة عشر وقد كانوا يتمنون أن يشتركوا فى الغزو لولا منعهم من قبل ﷺ لصغر سنهم .

٤ - الطاعة لأوامر القائد فى المعركة ، وتنفيذها بدقة ، وعدم التوانى فيها ، ففى التهاون بها الخسارة الفادحة .

٥ - الإخلاص لله تعالى ، وحب الآخرة ، وعدم تقديم حب الدنيا على الآخرة خاصة فى اللحظات الحاسمة ، وفى القتال .

٦ - فداء النبي ﷺ بالروح والدم ، وحماية الإسلام بكل قوة يمتلكها

العبد ، وقال تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (١) .

٧ – أخذ العبرة والعظة من الهزيمة وعدم اعتبارها نهاية المطاف فالأيام دول بين النناس ، يوم لك ويوم عليك ، والهزيمة تأتى من قبل نفوسنا ، فعلينا بتطهيرها وتنقيتها وتقويمها .

٨ – أننا نحارب ونجاهد فى سبيل العقيدة والدين ، وليس فى سبيل الأشخاص ، فلا يؤثر موت نبى ولا داعية على الجهاد والقتال ، لكن حماية الإسلام والذود عن الدين واجب مقدس لا يسقط ولا ينتهى .

٩ – الثبات عند القتال وعدم الفرار مهما تكن الأسباب ، ولنا العبرة فيمن ثبتوا ثبات الجبال الرواسى فى غزوة أُحد ، تلقوا بصدورهم الطعنات ، ومن كانوا يحمون رسول الله ﷺ بظهورهم يتلقون السهام حتى لا يصاب رسول الله ﷺ بسوء .

١٠ – مشاركة المرأة المسلمة فى القتال ، فقد شاركت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فى أُحد ، وأم عمارة نسيبة بنت كعب ، وأم سليط ، وجمع من النساء ، بلغن عددهن بضعة عشرة نساءٍ مسلمات كما ذكر ذلك فى « امتاع الأسماع » .

---

(١) سورة الأحزاب الآية « ٦ » .

١١ - أن التبختر والافتخار بين الناس محرم ، ويبغضه الله تعالى ، إلا في موطن القتال لإرهاب أعداء الله ، ويدل على هذا موقف رسول الله ﷺ من مشية أبي دجانة متبختراً بسيف رسول الله بين صفين حين قال رسول الله ﷺ : « **هذه مشية يبغضها الله تعالى إلا في هذا الموطن** » .



أسئلة :

١ - ما اسم الغلامين اللذين أجازها النبى ﷺ للتقال يوم أُحد ؟ ولماذا لم يجز غيرهم من الشباب ؟ .

٢ - ما اسم الصحابى الذى لحق بثلث الجيش المنخذل من المنافقين لينصحهم وليردهم إلى جيش المسلمين ؟ .

٣ - من صاحب اللواء فى جيش المسلمين يوم أُحد ، ومن حمل بعده اللواء ، حين استشهد ؟ .

٤ - من صاحب العصابة الحمراء ؟ .

٥ - من غسيل الملائكة ؟ ولماذا سمى بهذا الإسم ؟ .

٦ - اشترك فى غزوة أُحد واستشهد ، وقال عنه رسول الله ﷺ أنه فى الجنة ، بالرغم من أنه لم يصلِ قط ، من هو ؟ ولماذا لم يصل قط ؟ .

٧ - ما السبب الرئيسى فى هزيمة المسلمين بعد انتصارهم فى بداية الغزوة ؟ .

٨ - أُشيع فى المعركة مقتل رسول الله ﷺ ، فماذا كان موقف أنس ابن النضر - رضي الله عنه - ؟ .



[إجلاء بني النضير]

الزمان : فى ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة ، واستمر حصارهم ستة أيام وقيل خمس عشرة ليلة .

المكان : حصارهم فى ديارهم قرب المدينة .

الحدث :

خرج رسول الله ﷺ إلى بنى النضير فى نفر من أصحابه ﷺ وفيهم أبو بكر ، وعمر وعليّ ، فكلم يهود بنى النضير أن يعينوه فى دية قتيلين من بنى عامر قتلهما عمرو بن أمية الضمرى ثأراً لإخوانه المسلمين الذين قتلتهم بنو عامر ، ولم يكن يعلم عمرو أن لهما عهداً مع رسول الله ﷺ ، وقد كان بين بنى عامر وبنى النضير عهد ، فاستجاب اليهود لطلب الرسول ﷺ فى الظاهر وقالوا : نفعل يا أبا القاسم ما أحببت ، ثم خلا بعضهم إلى بعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ، فمنْ رجلٌ يعلو البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه ؟ ، فرد عليهم أحدهم وهو سلام بن مشكم بقوله : لا تفعلوا سوف يخبر بما هممتم به ، وإن هذا لنقض للعهد الذى بيننا وبينه ، لكنهم لم يلتفتوا لقوله ، وأجمعوا نية الغدر ، فصعد أحدهم

أعلى سطح البيت الذى يجلس بجواره رسول الله ﷺ وكان هذا الرجل يدعى عمرو بن جحاش بن كعب ، صعد ليلقى صخرة على رسول الله ﷺ ليقتله ، فجاء الوحى إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فقام رسول الله مسرعاً – وكأنه ذهب ليقضى حاجة – فذهب إلى المدينة ، ولما استبطأه أصحابه الذين كانوا يجلسون معه ، خرجوا وراء لينظروا ما الخبر ، فأخبرهم رسول الله ﷺ بأمر غدر اليهود ومحاولة قتله ، وأمر رسول ﷺ بإجلاءهم عن المدينة ، وبعث إليهم محمد بن مسلمة فقال له : « **اذهب إلى بنى النضير فمرهم أن يخرجوا من المدينة ولا يساكنونى بها ، وقد أجلتهم عشراً فمن وجدت بعد ذلك ضربت عنقه** » .

وعلم اليهود أن الرسول ﷺ قد أنبأه الوحى بغدرهم وخيانتهم ومحاولة قتله ﷺ ، فندموا على ما فعلوا ، ولم يجدوا مناصاً من الخروج من المدينة ، وأخذوا يتجهزون لذلك ، وبينما هم يتجهزون للخروج ولمغادرة المدينة جاءهم منافقوا المدينة وعلى رأسهم عبد الله بن أبى بن سلول ، جاءوهم خفية حتى لا يراهم أحد من المسلمين ، وقالوا لهم : اثبتوا ولا تخرجوا من المدينة ، ونحن ننصركم ونكون عوناً لكم ، ولن يقدر محمد على إخراجكم ، ولما مرت المدة التى أمهلهم رسول الله إياها ، أمر المسلمين بالتجهز لحربهم وقتالهم ، لإجبارهم على الجلاء عن المدينة لغدرهم وخيانتهم ، فتحصن اليهود

بحصونهم ، وقد كانت حصوناً منيعة ، لكنها لم تكن لتمنعهم من بأس الله إذا جاءهم ، وقذف الله فى قلوب أنصارهم من المنافقين الرعب ، فلم ينصروهم ، وخذلوهم شر خذلان بعدما وعدوهم بنصرتهم والقتال معهم ، قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ (١٢) ﴾ [(١)] .

وحاصر الرسول ﷺ وجيش المسلمين حصون اليهود حصاراً شديداً وقطعوا نخيلهم ، ولم يصمد اليهود طويلاً ، فاستسلموا ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فأذن لهم بالجلاء عن ديارهم ولهم ما حملت الإبل من متاع عدا السلاح ، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم ليحملوا ما بالبيت من متاع أو شىء ينفعهم ، حتى كان أحدهم ليهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به ، وخرجوا إلى خيبر وإلى الشام .

وفى هذه الحادثة نزلت سورة الحشر بأكملها ، يبين الله تعالى ما أصابهم من نقمة لخيانتهم وغدرهم ، بمن أمنهم وعاهدهم

---

(١) سورة الحشر الآيات « ١١ ، ١٢ » .

واحترمهم ، قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ ﴾[1] .

وحين اعترض اليهود على تقطيع المسلمين للنخيل وحرقه وقالوا إن هذا فساد فى الأرض ، وأنتم أيها المسلمون تقولون إنكم لا تفسدون فى الأرض ودينكم ينهى عن الفساد ، ونزل قوله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ[2] أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾[3] .

يعنى أن هذا التقطيع والحرق للنخيل كان بإذن الله ورضاه ، وقد كان إرهاباً لأعداء الله ، وإجباراً لهم على الخضوع والاستسلام ، فكان فى قطع النخيل فى هذه الموقعة تحقيق للمصلحة ونكاية للعدو الغادر الذى لا يريد خيراً لأحد .

---

(١) سورة الحشر الآية « ٢ » .
(٢) لينة : المقصود « نخلة » قاله بن جرير .
(٣) سورة الحشر الآية « ٥ » .

الدروس المستفادة :

١ – أن اليهود أهل خيانة وغدر ، ولا يتوانون لحظة واحدة فى الفتك بالمسلمين إذا أُتيحت لهم الفرصة ، وقد أرادوا أن يفتكوا بالرسول ﷺ وهو الذى عاهدهم وأعطاهم الأمن والأمان ، ولم يتعرض لهم بأذى .

٢ – أن الوحى كان يؤيد النبى عليه السلام ويحميه بأمر الله تعالى ، الذى عصمه من الأذى لتبليغ رسالته ، رسالة الإسلام ، وهذه الحادثة من المعجزات الكثيرة التى حدثت فى حياة الرسول ﷺ .

٣ – علم اليهود بصدق رسول الله ﷺ وأنه نبى مرسل ، حتى من قبل أن يخبرهم بما أسروا فى نفوسهم من خيانة وغدر ، وذلك حين قال لهم صاحبهم سلام بن مشكم أن الوحى سيخبر محمداً بما تفعلون وسوف يكون فيه الشر لكم .

٤ – المنافقون فى جسد الأمة المسلمة أشد خطراً من الأعداء ، لأنهم أعداء أخفياء ، وهم على علم بالمسلمين أكثر من أعداءهم ، ويمثلون خطراً عظيماً على وحدة المسلمين وقوتهم .

٥ – أن اليهود جبناء لا يقدرون على مواجهة المسلمين وجهاً لوجه ، لكنهم يقاتلون من خلف الأسوار والحصون ، قال تعالى :

﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ (١) .

٦ - أن المنافقين لا عهد لهم ولا ذمة ، وقد عاهدو اليهود بالنصرة ثم خذلوهم وخافوا قوة المسلمين ، وقذف الله فى قلوبهم الرعب وفى قلوب أعداء الله .



(١) سورة الحشر الآية « ١٤ » .

أسئلة :

١ - لماذا ذهب رسول الله ﷺ إلى يهود بنى النضير فى نفر من أصحابه فى البداية ؟ .

٢ - ما نوع الخيانة التى فعلها يهود بنى النضير ؟ .

٣ - لماذا لم يستسلم اليهود لأمر رسول الله ﷺ بالإجلاء عن المدينة قبل حصارهم ؟ .

٤ - أذكر من القصة ما يدل على جبن اليهود .



[غزوة ذات الرقاع]

الزمان : فى السنة الرابعة للهجرة .

المكـان : موضع يقال له « نخل » على بعد يومين من المدينة .

أطراف الغزاة :

بين المسلمين وبعض القبائل من غطفان «بنى ثعلبة وبنى محارب» وكان عدد المسلمين حوالى سبعمائة .

أحداث الغزوة :

استهان بعض العرب بالمسلمين ، وظهر ذلك واضحاً فى حادثتى يوم الرجيع وبئر معونة والتى قتل فيها عدد كبير من المسلمين غدراً ، وكانوا قد ذهبوا ليعلموا هؤلاء القبائل تعاليم الإسلام الحنيف ، فخرج رسـول الله ﷺ فى جـمع من أصحـابه مـا بين الأربعـمـائة مـقـاتل والسبعمائة لمقابلة قبائل محارب وبنى ثعلب وقتالهم ، حتى إذا وصل رسول الله ﷺ إلى مكان يسمى نخل على بعد مسيرة يومين من المدينة وحشد فيه قوة المسلمين ، خاف أعداء الله من المشركين من هؤلاء القبائل وفروا هاربين، وتفرقوا، ولم يحدث قتال بينهم وبين المسلمين ، وفى أثناء السير لهذه الغزوة حدثت أحداث يحسن التوقف عندها،

منها ما جاء عن أبى موسى الأشعرى - رضي الله عنه - وهو يحكى عن هذه الغزوة فيقول : « خرجنا مع رسول الله ﷺ ونحن ستة نفر بيننا بعير نتعقبه ، فنقبت أقدامنا ، فكنا نلف على أرجلنا الخرق ، فسميت بذلك غزوة ذات الرقاع » ، وفى تلك الغزوة أيضاً لاحظ النبى عليه الصلاة والسلام أن أحد أصحابه يبطئ المسير وهو جابر بن عبد الله الأنصارى ، فاقترب منه رسول الله ﷺ لينظر فى أمره ، ويحكى جابر ما حدث بينه وبين رسول الله ﷺ فيقول :

« خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع على جمل لى ضعيف ، فلما قفل رسول الله جعلت الرفاق تمضى ، وجعلت أتخلف حتى أدركنى رسول الله ﷺ فقال : مالك يا جابر ؟ قلت : يارسول الله أبطأ بى جملى هذا ، قال : أنخه ، فأنخته ، وأناخ رسول الله ﷺ ، ثم قال : أعطنى هذه العصا من يدك ، ففعلت ، فأخذها فنخسه بها نخسات ثم قال : اركب ، فركبت فخرج - والله الذى بعثه بالحق - يواهق ناقته مواهقة [1] ، وتحدثت مع رسول ﷺ ، فقال لى : أتبيعنى جملك هذا جابر ؟ ، قلت : يا رسول الله بل أهبه لك ، قال : لا ولكن بعنيه ، قلت: فثمنه يارسول الله ، قال : آخذه بدرهم ! ، قلت : لا ، إذن تغبنى يارسول الله ، قال : فبدرهمين ؟! قلت : لا ، فلم يزل

(١) يواهق ناقته مواهقة : يعنى يسابقها .

يرفع لى فى ثمنه حتى بلغ الأوقية ، فقلت : أفقد رضيت يارسول الله ؟ قال: نعم ، قلت : فهو لك، قال : قد أخذته « يعنى اشتريته » ، ثم قال : يا جابر هل تزوجت بعد ؟ قلت : نعم يارسول الله ، قال : أثيباً [(١)] أم بكر ؟ قلت : لا بل ثيباً ، قال : أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك ؟ ، قلت : يا رسول الله إن أبى أصيب يوم أُحد وترك لى بنات سبعاً ، فنكحت امرأة جامعة تجمع رؤوسهن وتقوم عليهن ، قال : أصبت إن شاء الله ، أما أن لو قد جئنا صراراً [(٢)] ، أمرنا بجزور فنحرت ، وأقمنا عليها ذلك اليوم ، فسمعت بنا فنفضت نمارقها [(٣)] ، فقلت : يارسول الله والله ما لنا من نمارق ، قال : إنها ستكون ، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيساً ، فلما جئنا صراراً أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحرت ، وأقمنا عليها ذلك اليوم ، فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا ، فحدثت المرأة الحديث ، وما قال لي رسول الله ﷺ قالت : فدونك فسمع وطاعة .

فلما أصبحت أخذت برأس الجمل ، فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله ﷺ ، ثم جلست فى المسجد قريباً منه ، وخرج رسول الله ﷺ فرأى الجمل قريباً منه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : يارسول الله

---

(١) الثيب : التى سبق لها الزواج .
(٢) صرار : مكان يبعد ثلاثة أميال عن المدينة .
(٣) نمارقها يعنى وسائدها .

هذا جمل جاء به جابر ، قال : فأين جابر ؟ فدعيت له فقال : يا ابن أخي ، خذ برأس جملك فهو لك ، ودعا بلالاً فقال له : اذهب بجابر فأعطه أوقية ، فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئاً يسيراً ، فوالله مازال ينمو عندي ... » .

هكذا كان رسول الله ﷺ يهتم بشؤون صحابته ، فيمتدح صنيع جابر لزواجه بامرأة ثيب وتضحيته في سبيل راحة إخوته البنات السبع اللاتي تركهن والده بعد استشهاده في أُحد ، فمن أجل حسن رعايتهن تزوج بامرأة ثيب ، ومن خلال الحديث تبين فقر سيدنا جابر - رضي الله عنه - فاشترى منه رسول الله ﷺ جمله ثم ردَّه عليه وأعطاه ثمنه أيضاً إكراماً له ومساعدة له في عيشه وعمله .

ومما حدث لرسول الله ﷺ في طريق عودته من تلك الغزوة أنه ﷺ وصحابته جلسوا يستريحون وقت الظهيرة من حر الشمس في واد كثير الشجر ، وتفرقوا كلٌّ يستظل بظل شجرة ، فعلق رسول الله ﷺ سيفه ثم نام ، فجاء أعرابي والنبي ﷺ نائم ، فاستل سيفه فاستيقظ رسول الله ﷺ والسيف في يد الرجل وهو يقول له : من يمنعك مني يامحمد ؟! قال : الله ، فارتجف الرجل وسقط السيف من يده ، فتناوله رسول الله ﷺ وقال له : من يمنعك مني ؟ ، قال : عفوك يا محمد ، فعفا عنه رسول الله ﷺ .

ومما يذكر فى هذه الغزوة أن المسلمين نزلوا منزلاً ، فانتدب رسول الله ﷺ رجلين أحدهما من الأنصار والآخر من المهاجرين تطوعا لحراسة الجيش ليلاً حتى إذا أحسا بخطر أيقظا الناس ، وجعلهما بفم الشعب، وسأل الأنصارى المهاجرى أيحب أن يحرس أول الليل أم آخره ، قال : بل آخره ، فنام المهاجرى ، وقام الأنصارى يصلى ، فجاء رجل من المشركين كان قد أُصيبت زوجته من قبل أحد المسلمين ، فلما رأى الأنصارى يصلى رماه بسهم فنزعه وهو يصلى ولم يقطع صلاته ، فتابع الرجل عليه الرمى ثلاثاً حتى ركع الرجل وسجد فأيقظ المهاجرى ، فوجد المهاجرى الدم يسيل منه، وشعر الرجل المشرك بحركة المهاجرى فهرب ، فقال المهاجرى للأنصارى : سبحان الله لِمَا لَمْ توقظنى أول ما رماك الرجل ؟ ، قال الأنصارى : كنت فى سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها ، ولولا خوفى من أضيع ثغراً أحرسه كلفنى به رسول الله لما أيقظتك ، ولم أقطع سورتى .

هكذا كان حب الصحابة للقرآن وللصلاة ، فالرجل لم يقطع صلاته رغم إصابته البالغة واحتمال تعرضه للموت إلا خوفاً من أن يؤتى المسلمين من قبله أو يحدث لهم أذى (١) .



---

(١) هذه القصة بنصها رواها بن اسحق ، رواها عنه أحمد وأبو داود أما القصص التى قبلها فنصها فى صحيح البخارى .

الدروس المستفادة :

١ – تضحية الصحابة رضوان الله عليهم بالنفس والمال فى سبيل الله ، والتضحية بالنفس تظهر هنا فى تعاقب ستة من الصحابة على جمل واحد ، لدرجة أن أقدامهم تورمت ودَمِيَت فربطوها بالخرق والرقاع .

٢ – أن الله تعالى قد نصر رسله ﷺ وجيش المؤمنين بالرعب ، فقذف الله فى قلوب المشركين الرعب ، ففروا بدون قتال ، وفى الحديث الصحيح « **ونصرت بالرعب** » ، فهزيمة العدو النفسية عامل هام فى هزيمته العسكرية ، وهذه الهزيمة النفسية للمشركين منحة من الله تعالى للمؤمنين .

٣ – سؤال الرسول ﷺ عن أصحابه وأحوالهم ، ومتابعة ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية ، ومساعداتهم .

٤ – ثبات الرسول ﷺ وثقته فى نصر الله وتأييده له ، وحفظه من كل سوء ، وذلك حين أخذ الأعرابى سيفه وقال له : من يحميك منى قال : الله ... قال الله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ [1] .

---

(١) سورة المائدة الآية « ٦٧ » .

٥ – المحافظة على أمن الجيش المسلم ، والتطوع لحمايته ، والسهر على راحة الجنود ، وإيثارهم على النفس ، كانت هذه سمات الجندى المسلم .

٦ – الإرتباط الوثيق بالله تعالى ، والحب العميق للقرآن الكريم ، مما جعل أحدهم يتحمل وقع السهام على ظهره ، حتى يختم الآيات التى كان يقرأها .



أسئلة :

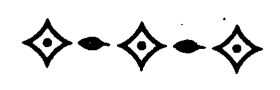
١ – لماذا سميت هذه الغزوة بذات الرقاع ؟ .

٢ – هل حدث قتال فى هذه الغزوة ؟ ، ولماذا ؟ .

٣ – كم عدد المسلمين الذين خرجوا للقتال فى هذه الغزوة ؟ .

٤ – على أى شىء يدل حديث الرسول ﷺ إلى جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – ؟ .

٥ – أذكر معجزة نبوية حدثت في هذه الغزوة .



غزوة بدر الآخرة

الزمان : فى شهر شعبان للعام الرابع الهجرى .

المكان : قرب بدر التى قامت بها غزوة بدر الكبرى .

أحداث الغزوة :

ذكرنا فى نهاية الحديث عن غزوة أُحد أن أبا سفيان صعد أعلى الجبل وذكر كلاماً وردَّ عليه عمر ، ثم قال بأعلى صوته : موعدنا بدر من العام المقبل ، فأمر رسول الله ﷺ أحد أصحابه أن يجيبه قائلاً : نعم، هو موعدٌ بيننا وبينكم .

فلما حان الموعد خرج رسول الله ﷺ إلى بدر لملاقاة المشركين هناك وقتالهم ، فى جمع من الصحابة رضوان الله عليهم ، ليعلنوا لقريش أنهم على استعداد لملاقاتهم ، وليمسحوا ما تبقى من آثار الهزيمة فى أُحد ، والتى ما كانت إلا لخطأ الرماة الذين عصوا أمر رسول الله ﷺ ونزلوا ليشاركوا المسلمين فى الغنائم .

وعلى الصعيد الآخر خرج أبو سفيان بن حرب قائداً لجيش المشركين قاصدين بدراً حتى إذا وصلوا إلى مكان يدعى « مجنة » ، خالط قلب أبى سفيان الشك فى هزيمة المسلمين ، خاف من بأسهم وتذكر موقعة بدر الكبرى التى حصدت فيها رؤوس الشرك حصداً ،

وأنهم هزموا المسلمين فى أُحد لخطأ أخطأه رماة المسلمين ، وربما لا يسلمون اليوم من قتال المسلمين ، فقال أبو سفيان لجيش الشرك :

يامعشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عامٌ خصيب ترعون فيه الشجر ، وتشربون فيه اللبن ، وإن عامكم هذا عام جدب « قحط » وإنى راجع فارجعوا ، ويبدو أن المشركين كان كل منهم يحدث نفسه ، بما حدثت أبا سفيان نفسه به ، فما أن قال أبو سفيان قولته ، حتى تجهزوا جميعاً للرجوع إلى مكة ، ولم يذكر أن أحداً اعترض على كلامه ، حتى إنهم بعد رجوعهم مكة سماهم أهل مكة « جيش السويق » ، ويقولون لهم : إنما خرجتم تشربون السويق .

وعلى صعيد جيش الإسلام ، كان المسلمون على أهبة الإستعداد للقتال ، وأقاموا عند بدر ثمانية أيام ينتظرون جيش قريش .

وجاءت الأخبار للمسلمين بأن جيش الشرك رجع إلى مكة ولم يشأ أن يحارب المسلمين ، فأنشد عبد الله بن رواحة [١] ، قائلاً :

وعدنا أبا سفيان بدراً فلم نجد ... لميعاده صدقاً وما كان وافيًا

فأُقسم لو وافيتنا فلقيتنا ... لأُبت ذميماً وافتقدت المواليا

تركنا به أوصال عتبة وابنه ... وعمراً أبا جهل تركناه ثاويًا

---

(١) عبد الله بن رواحة أحد شهداء المسلمين فى غزوة مؤته ، وسيأتى ذكره ، وهو أحد شعراء المسلمين .

عصيتم رسول الله أُفٍّ لدينكم وأمركم السيىء الذى كان غاوياً

فإنى وإنى عنفتمونى لقائلٌ فدى لرسول الله أهلى وماليا

أطعناه لم نعدله فينا بغيره شهاباً لنا فى ظلمة الليل هادياً

ثم رجع المسلمون إلى المدينة ، بعدما وفُّوا بعهدهم ، ولم يوف المشركون بما ألزموا أنفسهم به .

الدروس المستفادة :

١ - إن المسلم شجاع لا يخاف فى الله لومة لائم ، ويفى بوعده مهما كانت الظروف ، ويعطى لغيره الدرس فى الوفاء بالوعد .

٢ - عسكرة جيش المسلمين فى بدر ثمانية ليال كاملة انتظاراً لجيش المشركين يدل على بسالة جنود الإسلام ، واستعدادهم الكامل للقتال ، وأنهم لم يذهبوا لتأدية الواجب فحسب ، لأنه كان من الممكن أن يعود الجيش إلى المدينة بعد يومين أو ثلاثة وسيكون معذوراً لأنه انتظر فلم يأت جيش المشركين ، لكنه انتظر ثمانية أيام ليؤكد بسالته وقوته واستعداده الكامل للقتال وليرهب أعداء الله ، وكلَ من تحدثه نفسه بإيذاء المسلمين .

٣ - الشعر له دور عظيم فى السلم والحرب ، وفى رفع الروح المعنوية للمقاتلين ، وفى إرهاب المشركين والكافرين .



أسئلة :

١ – ماذا كانت حجة أبى سفيان فى الرجوع إلى مكة بالجيش ؟ .

٢ – كم مكث المسلمون فى بدر فى تلك الغزوة ؟ وعلى أي شىء يدل ذلك ؟ .

٣ – الوفاء بالوعد من سمات لمؤمنين ، اذكر حديثاً مما تحفظ يدل على أن خلف الوعد نقيض الإيمان .



غزوة بني المصطلق

الزمان : فى شعبان من العام الخامس الهجرى .

المكان : عند ماءٍ يقال له « المريسيع » من ناحية قديد إلى الساحل.

أطراف الغزوة : بين المسلمين ، وبنى المصطلق بقيادة الحارث ابن ضرار ولم يذكر عددهم .

أسباب الغزوة : بلغ رسول الله ﷺ تجهز بنى المصطلق لحرب المسلمين ، فخرج إليهم فلقيهم عندما ماء يقال له المريسيع .

الأحداث :

سمع رسول الله ﷺ بتجهز بنى المصطلق لحرب المسلمين فخرج إليهم فى شعبان من العام الخامس الهجرى فلقيهم عند ماء يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا ، وما هى إلا جولات قليلة حتى انهزم المشركون ، فقتل من قتل منهم ، ثم أفاء الله على رسوله وعلى المسلمين من أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، وفى هذه الغزوة أصيب رجل من المسلمين أصابه رجل من الأنصار فقتله خطأ وهو يظن أنه من الأعداء .

وفى هذه الغـزوة خـرج جـمـع من المنافـقـين - على خـلاف عـاداتهم - مع المسلمين للقـتـال لمّا رأوا انتـصـار المسلمين فى كل معركة ، فخرجوا معهم طلباً للغنائم ، وبينما المسلمون عند ذلك الماء « المريسيع» ، ورد الناس وتزاحموا على الماء ، فتزاحم غلام أجير لعمر بن الخطاب ويدعى جهجاه بن مسعود مع غلام آخر يقال له سنان بن وبر الجهنى ، فتضايق أحدهما من الآخر فاقتتلا ، فصاح سنان يستغيث بالأنصار : يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين ، فسمع بذلك رأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول فغضب و كان فى مجلس قومه ، وفيهم غلام يدعى زيد بن أرقم ، فقال ابن سلول : أوقد فعلوها « يقصد المهاجرين وفيهم رسول الله ﷺ » ، قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، والله ما نحن وجلابيب قريش « يقصد المسلمين المهاجرين » إلا كما قال الأول : سمّن كلبك يأكلك !! ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل !! ، ثم أقبل على قومه الجالسين معه فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم ! .

فمشى زيد بن أرقم فأخبر رسول الله ﷺ بما كان من رأس المنافقين ، وكان عمر جالساً فلما سمع ذلك قال لرسول الله ﷺ : مر

عباد بن بشر فليقتله ، فقال عليه الصلاة والسلام : فكيف ياعمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه [١] ، !! لا ، ولكن أذن فى الناس بالرحيل ، وذلك فى ساعة لم يكن يرتحل فيها المسلمون ، فلما سمع عبد الله بن أبى بن سلول بما وصل رسول الله ﷺ عنه ذهب مسرعاً إلى رسول الله وحلف بالله أن شيئاً من ذلك لم يحدث ، وأنه لم يقل من ذلك كلمة واحدة ، فقال الناس : يارسول الله لعلَّ الغلام قد أوهم فى حديثه ولم يحفظ ما قاله الرجل ، يدافعون عن عبد الله بن أُبى لما رأوا من حلفه بالله .

ولما سار رسول الله ﷺ بالمسلمين كلمه أُسيد بن حضير وهو سيد فى الأنصار ولم يكن يعلم بأمر عبد الله بن أُبى ، فقال : يارسول الله : والله لقد رحت فى ساعة منكرة ماكنت تروح فى مثلها ! ، فقال له رسول الله ﷺ : أوما بلغك ما قال صاحبكم ؟ ، قال : وأى صاحب يارسول الله ؟ قال : عبد الله بن أُبى ، قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدنية ليخرجن الأعز منها الأذل ، قال : فأنت يارسول الله والله تخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ! ، ثم قال : يا رسول الله ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له

---

(١) وذلك لأن عبد الله ابن أُبى بن سلول فى الظاهر مسلماً ، ولا يعلم كثير من الناس بأنه منافق عدو للإسلام .

الخرز ليتوّجوه ، فإنه ليرى أنك استلبته ملكه .

ثم سار رسول الله ﷺ بالناس يومهم هذا حتى أمس وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذاك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فناموا جميعاً من شدة التعب ، وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ رفقاً بوحدة المسلمين حتى ينشغلوا عن الحديث الذى حدث بالأمس من عبد الله بن أُبى .

ثم سار المسلمون وسلكوا الحجاز ، حتى وصلوا إلى ماء يقال له «بقعاء» ثم نزلت سورة المنافقون تفضح ابن أُبى وأتباعه ، فأخذ رسول الله بأذن الغلام زيد بن أرقم ثم قال : هذا الذى وفىّ الله بأذنه .

ثم بلغ عبد الله بن عبد الله بن أُبى – وقد كان مسلماً حسن الإسلام – ما فعل أبوه ، وظن أن النبى ﷺ يريد قتله ، فذهب إليه وقال: يارسول الله بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أُبى فيما بلغك عنه، فإن كنت لابد فاعلاً فمرنى به فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده منى ، وإنى لأخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل أبى يمشى فى الناس فأقتله ، فأكون قد قتلت رجلاً مؤمناً برجل كافراً فأدخل النار! .

فقال رسول الله ﷺ : بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا .

وبعد هذه الحادثة كان إذا حدث شىء من عبد الله بن أُبى كان

قومه هم أول من يعنفونه ويعتبون عليه ، ويأخذون على يديه .

وفى غزوة بنى المصطلق غنم المسلمون غنائم كثيرة ، وتزوج رسول الله ﷺ فى هذه الغزوة من جويرية بنت الحارث وأسلمت ، وهى بنت زعيم بنى المصطلق الحارث بن ضرار، وكانت أكرم امرأة على قومها ، حيث أن المسلمين لما رأوا رسول الله ﷺ قد تزوج « جويرية » أطلقوا سراح جميع الأسرى ، وقالوا : أنمسك أصهار رسول الله ﷺ ، فأسلم بنو المصطلق جميعاً ، فقد كان زواج رسول الله ﷺ من ابنة زعيمهم جويرية بنت الحارث سبباً فى إسلامهم بطريق غير مباشر ، وكان ذلك من أسرار زواج النبى عليه الصلاة والسلام بجويرية ، ولقد كانت جويرية من أكثر أمهات المؤمنين عبادة لله تعالى .

الدروس المستفادة :

١ - إن العبد المؤمن حين يقاتل ويخرج للمعركة يبتغى الآخرة ، والنصر أو الشهادة فى سبيل الله ، أما المنافق فيخرج يريد الدنيا والغنائم ولا يخرج حباً فى الشهادة ، وهكذا خرج المنافقون فى تلك الغزوة .

٢ - ينبغى على المسلم أن يدافع عن الحق ، ولا يسمع ما من شأنه إيذاء الرسول أو الدعوة ، وليأخذ على يد كل منافق أو من يسعى فى الأرض فساداً ، أو من يريد شراً بالمؤمنين .

٣ - أن الكذب من صفات المنافقين ، وهذا عبد الله بن أبى حلف بالله ما قال ذلك الكلام الذى بلغه زيد بن أرقم رسول الله ﷺ ، وكان هذا المنافق كاذباً فى حلفه ، ونزل القرآن الكريم بصدق كلام زيد بن أرقم .

٤ - أن المسلم يوالى الله ورسوله والمؤمنين ويعادى من عاداهم ، وقد تجلى هذا فى موقف عبد الله بن عبد الله بن أُبى ، هذا الغلام كان مسلماً حقاً ، وكان أبو منافقاً شديد النفاق ، واتضحت موالاة عبد الله لله ورسوله والمؤمنين ، ومعاداته لهذا المنافق بالرغم من كونه كان باراً به ، إلا أن حربه وخيانته لله ورسوله بكلامه

وفتنته بين المسلمين كان سبباً فى معاداته ، لدرجة أنه كان يستأذن الرسولﷺ فى أن يقتله إن كان الرسول ﷺ يريد ذلك ، لكن الرسول ﷺ قال : لا بل نكرمه ونحسن صحبته ونترفق به ما دام معنا ، وقد كان عليه الصلاة والسلام يرجو أن يؤمن قلب ذلك المنافق ويدعو الله بهذا .

٥ - رحمة النبى ﷺ وسماحته التى تجلت فى عفوه عن عبد الله بن أُبى ، ومن سمعه من المنافقين ، وكذلك حكمته ﷺ نفى معالجة الأمر .

٦ - أن النبى عليه الصلاة والسلام كان يتزوج كل امرأة من أزواجه لحكمة عظيمة ، وقد كان زواجه من جويرية بنت الحارث الحارث سبباً فى إسلام قومها جميعاً وهدايتهم إلى الدين الحق.



أسئلة :

١ – ما اسم الغلام الذى بلغ رسول الله ﷺ فتنة رأس المنافقين عبد الله بن أُبى ؟ .

٢ – هل كان عبد الله بن عبد الله بن أُبى مثل أبيه منافقاً ؟ وما الدليل على ما تقول ؟ .

٣ – كيف عالج النبى ﷺ الموقف حين سمع ما بلغه عن رأس المنافقين .

٤ – لماذا رفض النبى عليه الصلاة والسلام قتل عبد الله بن أُبى بالرغم من علمه بأنه منافق يؤمن بلسانه فقط وقلبه مع الكفار ؟! .

٥ – لماذا خرج المنافقون مع المسلمين فى هذه المعركة دون ما سبقها من الغزوات ؟ .



[غزوة الأحـــزاب]

الزمان : فى شوال من السنة الخامسة للهجرة .

المكـان : فى شمـال المدينة فى ظهر جبل « سلع » فتحصنوا به ، وحفروا خندقاً بينهم وبين الأحزاب .

أطراف الغزاة :

كانت بين المسلمين وعددهم ثلاثة آلاف مقاتل ، وبين من تخرب من المشركين واليهود ، فكانت قريش وكنانة وحلفاءهم من أهل تهامة يقـودهــم أبو سفـيان بن حــرب فى أربعة آلاف مقـاتل ، ووافاهم بنو سليم ، وقبـائل غطفـان بنو فزارة يقودهم عيينة بن حصين ، وبنو مرة يقـودهم الحارث بن عوف ، وبنو أشجع يقـودهم مسعر بن رفيلة وبنو أسد وغيرهما ، وكان يمثل قبائل غطفان وما حولها حوالى ستة آلاف مقاتل ... فكان إجمالى مجموع الأحزاب عشرة آلاف مقاتل .

أحداث الغزوة :

مـا فتِئَ اليـهـود يحـقـدون على رسـول الله ﷺ ، ويكيـدون لدين الإسـلام ، ولدعـوة الحق ، حـتى فكروا فى حـيلة للتـخلص من هذا الدين، واستئصال شأفة الإسلام ، فاجتمع نفر منهم وقرروا أن يذهبوا

إلى قريش ، ومن حولها من الأعراب ليؤلبوهم على حرب رسول الله ﷺ ، والقضاء على دولة الإسلام فى المدينة ، وكان من هؤلاء اليهود سلام بن أبى الحقيق النضرى ، وحيى ابن أخطب ، وكنانة بن أبى الحقيق ، وهوذة بن قيس الهذلى وأبو عمار الوائلى ، ونفر من يهود بنى النضير ، ونفر من بنى وائل فقدم هؤلاء جميعاً مكة ، ودعوهم لحرب رسول الله ﷺ .

وقالوا لهم : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله .

قالت لهم قريش : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خيراً أم دينه ؟ .

قالت اليهود : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه .

انظر إلى الكذب الفاضح من اليهود ، هؤلاء أهل الكتاب ، الذين هم على علم بصدق محمد ﷺ وهم لم يؤمنوا به حقداً عليه لأنه من العرب ، وقد كانوا يتمنون أن يكون من اليهود ، فلما جاء من العرب كفروا به حقداً وحسداً ، هؤلاء اليهود الكذابون الغادرون يقولون لكفار قريش عبده الأصنام دينكم خير من دين محمد ! ياللعجب لقد استحق هذا الموقف أن ينزل بشأنه قرآن من فوق سبع سماوات يتلى إلى يوم الدين ، قال الله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ**

مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً (٥١) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً (٥٢) ﴾ [1] .

ولما قالوا ذلك لقريش فرحوا لذلك وانتفشوا ، واجتمعوا ليعدوا للحرب عدته ، حتى جاءوا غطفان فقالوا لهم مثلما قالوا لقريش ، وحرضوهم على حرب النبى ﷺ وقالوا لهم : إن قريشاً ستحارب معنا، فواقت قبائل غطفان واستعدوا للحرب ، وهكذا ألّب اليهود الأحزاب لحرب النبى عليه الصلاة والسلام يبغون القضاء على الدين الحق وهدم أركان الدولة المسلمة ، ولكن أنى لهم ذلك ! ، فقد علم النبى ﷺ بأمر اليهود والأحزاب ، فتجهز لقتالهم ، واجتمع بالمسلمين يستشيرهم فى الأمر ، وكيف يواجهون الأحزاب،فاقترح سلمان الفارسى -رضي الله عنه- حفر خندق حول المدينة من جهة الشمال وهى جهة المواجهة بينهم وبين الأحزاب ، لمنع أحد من التسلل إلى المدينة ، وقد أُعجب الرسول ﷺ بهذه الفكرة ، وهى فكرة لم تكن عند العرب .

وبالفعل تم البدء فى حفر الخندق بين المسلمين وبين جيش الكافرين وأسرع المسلمون فى حفرة قبل قدوم الأحزاب ، وأخذ النبى عليه الصلاة والسلام ، يعمل مع المسلمين ، فلم يكن يقف يعطى

---

(١) سورة النساء الآيات « ٥١ ، ٥٢ » .

الأمر من برج عاجى ، ولكنه كان مشاركاً للجنود فى عملية الحفر ، وقد كانت عملية شاقة ، فلم تكن توجد معدات حديثة للحفر كما يوجد الآن ، يقول البراء - رضي الله عنه - : « لما كان يوم الأحزاب رأيت رسول الله ﷺ ينقل من تراب الخندق حتى وارى عنى التراب جلدة بطنه وكان كثير الشعر »(١) .

انظر ... القائد ينقل التراب حتى يوارى التراب جلدة بطنه ، وليس هذا فحسب إنما يربط على بطنه حجراً من شدة الجوع ، يقول جابر بن عبد الله : « إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة(٢) ، فجاءوا النبى ﷺ فقالوا : هذه كدية عرضت فى الخندق فقال إنى نازل ، ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً ، فأخذ النبى المعول فضرب ، فعاد كثيباً أهيل أو « أهيم » ، فقلت : يارسول الله ائذن لي إلى البيت ، فقلت لامرأتى رأيت برسول الله ﷺ شيئاً ما كان لى فى ذلك صبر ، فعندك شىء ؟! قالت : عندى شعير، وعناق(٣) ، فذبحت العناق ، وطحنت لشعير حتى جعلنا اللحم فى البورمة(٤) ، ثم جئت النبى ﷺ والعجين قد انكسر ، والبرمة فى

(١) هذه رواية البخارى .
(٢) المقصود صخرة شديدة .
(٣) عناق : ماعز .
(٤) البورمة : المقصود القدر .

الأثافي [١] . قد كان أن تنضج ، فقلت : طعيم لى ، فقم أنت يارسول الله ورجل أو رجلان ، قال : كم هو ؟ فذكرت له ، قال : كثير طيب ، فقل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي ، ثم نادى المهاجرين والأنصار ، فقال لهم : يا أهل الخندق إن جابراً قد أعد لكم طعاماً فحيّ هلا بكم ، فلما دخل جابر على امرأته قال : ويحك جاء النبى ﷺ بالمهاجرين والأنصار ، ومن معهم ، قالت : هل سألك كم طعامك ؟ قال : نعم ، قالت : الله ورسوله أعلم .

ثم جاء النبى ﷺ فقال : ادخلوا ولا تضاغطوا ، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمّر البرمة « يعنى يغطيها » والتنور إذا أخذ منه ، ويقرب إلى أصحابه ، ثم ينزع ، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا ، وبقى بقية ، قال لامرأة جابر : كلى هذا وأهدى ، فإن الناس أصابتهم مجاعة [٢] .

هكذا تجرى على يد رسول الله ﷺ معجزة أخرى ، وهى البركة فى الطعام ، فهذا الطعام الذى أعده جابر وزوجته لم يكن ليكفى سوى ثلاثة أو أربعة نفر ليشبعوا ، لكنه مع بركة النبى عليه الصلاة والسلام كفى المهاجرين والأنصار جميعاً ممن كان يشارك فى الحفر ، وبقى

---

(١) الأثافي : الحجارة التى يوضع عليها القدر .
(٢) رواه البخارى .

بقية ، ليأكل أهل بيت جابر ، ويهدوا منها كذلك .

وهكذا استمر المسلمون في حفر الخندق على قليل من الطعام وكثير من الصبر والعزيمة والثبات ، حتى أتموا حفره بإذن الله .

وظهر أثناء الحفر صدق المؤمنين ، وخداع المنافقين ، فكان الرجل المؤمن إذا نابته حاجة شديدة استأذن النبي ﷺ في قضاءها ، فيذهب ليقضيها ، فإذا قضاها عاد بسرعة البرق ليعمل مع المؤمنين في الحفر ، أما الرجل المنافق فكان يتسلل خفية إلى أهله هرباً من الحفر ، فنزل في المنافقين قوله تعالى : ﴿ **قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا** [1] **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [2] .

وحين تم بحمد الله حفر الخندق عسكر المسلمون خلفه ، ووصل المشركون في عشرة آلاف مقاتل على الجهة الأخرى من الخندق ، وجعل الرسول ﷺ النساء والأطفال في الحصون في المدينة ، وحين وصل المشركون قرب المدينة وجدوا هذا الخندق الهائل الذي يحول بينهم وبين المسلمين ، فقالوا : إن هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها ، وعسكروا حول الخندق يحاصرون المسلمين ، ويتدبرون الأمر.

---

(١) لواذا : مستترين متخفين .
(٢) سورة النور الآية « ٦٣ » .

وفى تلك الأثناء حاول اليهود اختراق هذا الحصار والبحث عن البدائل ، فذهب أحد اليهود الخبثاء وهو حيى بن أخطب إلى كعب ابن أسد القرظى صاحب عهد بنى قريظة ، ليثنيه عن عهده مع رسول الله ﷺ ، فلما علم كعب بن أسد بمقدم حيى بن أخطب إليه أغلق عليه باب حصنه ، فناداه حيى قائلاً : ويحك ياكعب افتح لى ، قال كعب : ويحك يا حيى إنك امرؤ مشؤوم ، وإنى قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بينى وبينه ، ولم أر منه إلا وفاءً وصدقاً . قال حُيى : ويحك افتح لى أكلمك . قال : ما أنا بفاعل . قال : والله إن أغلقت الحصن دونى إلا على جشيشتك [(١)] ، أن آكل منها معك ! فأحرجه ففتح له الحصن ، فقال : ويحك ياكعب ، جئتك بعز الدهر وبحر طام [(٢)] ، جئت بقريش على قادتها وسادتها ، حتى أنزلتهم بمجمع الأسيال من رومة [(٣)] ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى [(٤)] ، إلى جانب واحد قد عاهدونى وعاقدونى على أن لا نبرح حتى نستأصل محمداً ومن معه ، فقال له كعب : جئتنى والله بذل الدهر ، وبجهام قد هراق بماؤه ، فهو يرعد ويبرق ليس فيه شيء ،

---

(١) يقصد أغلقت بابك دوني عن طعامك حتى لا آكل معك .
(٢) بحر طام : يعنى مرتفع الأمواج وممتلئ .
(٣) هذا المكان قريب من المدينة من جهة الشمال .
(٤) قريب من مكان تجمع قريش .

ويحك يا حيي فدعني وما أنا عليه ، فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاءً ، فلم يزل به حيي بن أخطب حتى أقنعه بأن يقطع عهده مع محمد ويخون المسلمين ، ويشن عليهم حرباً مع الأحزاب ، وهي حرب سوف تكون أقوى لأنهم داخل المدينة ، فنقض كعب العهد مع رسول الله ﷺ ، وطارت الأخبار إلى رسول الله ﷺ وأصحابه عند الخندق ، فبعث سيد الأوس سعد بن معاذ ، وسيد الخزرج سعد بن عبادة، وبعث معهما عبد الله بن رواحة، وخوات بن جبير ، فقال لهم: « انطلقوا حتى تنظروا ، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ، فإن كان حقاً ، فألحنوا لي لحناً أعرفه [(١)] ، ولا تفتوا في أعضاد الناس [(٢)] ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا في الناس » ، فخرجوا حتى أتوا بني قريظة فوجدوهم كما سمعوا عنهم قد نقضوا العهد ، وهم يقولون : ومَنْ رسولُ الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد ، فشاتمهم سعد بن معاذ ، وشاتموه ، وكان رجلاً فيه حدة ، فقال له سعد بن عبادة : دع عنك مشاتمتهم ، ثم أقبل هؤلاء الأصحاب على رسول الله ﷺ فقالوا : عضل والقارة [(٣)] .

---

(١) يعني : عرّضوا في الكلام بلغز أعرفه .
(٢) لا تضعفوهم وتجعلوهم يخافون .
(٣) أي أنهم على غدر ، مثل قبائل عضل والقارة .

ففهم رسول الله ﷺ أنهم غدروا وانقضوا العهد ، ثم قال : الله أكبر أبشروا معشر المسلمين ، وذلك لأن الله تعالى لن يتركهم أبداً ، فظن المؤمنون بأنفسهم خيراً ، واستبشروا بنصر الله تعالى ، فعند شدة الضيق يأتى الفرج ، لكن المنافقين حين شعروا بأن العدو من فوقهم ومن تحتهم ارتعدت قلوبهم ، وقالوا : ﴿ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾ [١] ، وقال فريق منهم للرسول ﷺ ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا ﴾ [٢] ، يريدون الفرار من الحرب والرجوع إلى البيوت بحجة حماية النساء والأولاد ، واستمر عسكرة المسلمين عند الخندق وحصار المشركين واليهود للمسلمين قرابة شهر ، ولم تحدث حرب بالمعنى الحقيقى إلا التراشق بالنبل ، فالمشركون يحاولون اختراق الخندق لكنهم عاجزون عن ذلك ، إلا أن نفراً منهم التمسوا مكاناً ضيقاً فى الخندق ، فضربوا خيلهم فاقتحمت بهم الخندق ، فخرج إليهم نفر من المسلمين ، وكان من بين هؤلاء المشركين الذين اقتحموا الخندق فارس معروف يقال له عمرو بن عبد ود ، وكان من أشجع فرسان المشركين ، فقال هل من مبارز ؟! ، فخرج له عليّ بن أبى طالب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ، فقال له عمرو : لم يا ابن أخى ؟ فوالله ما أحب أن

---

(١) سورة الأحزاب الآية « ١٢ » .
(٢) سورة الأحزاب الآية « ١٣ » .

أقتلك « يستهين به » ، فأجابه عليّ قائلاً : ولكني والله أحب أن أقتلك ، فثارت ثورة عمرو بن عبد ود فعقر جواده ، ثم أقبل على عليّ فتنازلا وتقاتلا ، فصولة وجولة ، وضربة وضربة ، وتعالت أصوات السيوف وتعالى الغبار من سرعة حركة الخيل وشدة القتال والسجال ، حتى لم ير المسلمون أياً منهما ، ولم يعرفوا من يقاتل الآخر أشد ، واستمرت المبارزة قوية وعنيفة بعضاً من الوقت لا يُسمع سوى صليل السيوف ، حتى صعد صوت يشق عنان السماء يقول : الله أكبر ، فعرف المسلمون أن علياً قد قتل عمرو بن عبد ود ، فتحطمت الأسطورة ، حيث أن عمرو كان من أشرس مقاتلى قريش ، وحين رأى الفرسان هذا الأمر رجعوا واقتحموا الخندق من الجهة الأخرى ، وفروا هاربين ، ولم يحاول أحد المشركين بعدها اختراق الخندق لقتال المسلمين ، وفى تلك الأثناء ، وحين نفذ صبر المشركين والأحزاب بعثوا إلى بنى قريظة ليقاتلوا النبى ﷺ فيفتحوا جهةً من الداخل للقتال، وبين هذا وذاك جاءت بشائر نصر الله متمثلة فى إسلام رجل من غطفان يقال له : نعيم بن مسعود ولم يعلم أحد بإسلامه ، فجاء للنبى ﷺ يقول : يا رسول الله إنى قد أسلمت ، وإنى قومى لم يعلموا بإسلامى ، فمرنى بما شئت ، فقال له النبى ﷺ : « إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذِّل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة » .

ففكر نعيم بن مسعود فى حيلة ذكية استطاع بها أن يضرب المشركين بعضهم ببعض ، فذهب إلى بنى قريظة ، فقال لهم : يابنى قريظة قد عرفتم ودّى إياكم ، وخاصة ما بينى وبينكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم ، فقال لهم : إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم البلد بلدكم ، فيه أموالكم ونساؤكم وأبناؤكم ، لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشاً وغُطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم ونساؤهم وأموالهم بغيره ، فليسوا مثلكم ، فإن هزموا لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهُناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ، ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه ، فقالوا له : لِقد أشرت بالرأى ، ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه : قد عرفتم ودى لكم وبغضى محمداً ، وإنه قد بلغنى أمر قد رأيت علي حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم ، فاكتموا عنى ، فقالوا : نفعل ، قال : تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه أناقد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم ، فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم ؟ ، فأرسل إليهم : أن نعم ، فإن بعثت إليكم يهود

يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا منكم رجلاً واحداً .

ثم خرج إلى غطفان وقال لهم مثلما قال لقريش ، وحذرهم من أن يعطوا اليهود أحداً من أشرافهم ، وفى تلك الأثناء كان عكرمة ابن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان قد ذهبوا إلى بنى قريظة يطلبون منهم معاونتهم وإعلان الحرب العلنية ضد الرسول ﷺ وقتال المسلمين، فقال لهم اليهود ، إن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ، ومع ذلك فلن نقاتل محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا ، حتى نناجز محمداً ، فإنا نخشى إن هزمنا أن تنصرفوا وتتركونا وحدنا ، ولا طاقة لنا بالرجل ، فرجع هؤلاء النفر إلى قريش وغطفان يخبرونهم ، بما قالت اليهود ، فقالت قريش وغطفان : والله إن الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق ، وإنهم يريدون رهنا منا يقدموهم إلى محمد ليقتلهم ، فبعثوا إليهم : والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تريدون أن تقاتلوا محمداً بحق فاخرجوا فقاتلوا ، فقال اليهود فى أنفسهم : إن الذى أخبرنا به نعيم بن مسعود لحق ، وإن هؤلاء المشركين يريدون أن نقاتل محمداً فإن انهزمنا تركونا والرجل وخلّوا بيننا وبينه ورجعوا إلى بلادهم ، فبعثوا إلى قريش وغطفان والله لا نقاتل محمداً حتى تعطونا رهنا منكم ، فرفض المشركون ، وهكذا فضّ الله التحالف بينهم ، وخذل بينهم .

ثم إن الله تعالى أرسل عليهم ريحاً شديدة فى ليالٍ شاتية باردة

شديدة البرد ، فأكفأتْ قدورهم على الأرض ، واقتلعت خايمهم ، وأطفأت نيرانهم ، كل هذا والمسلمون عند الخندق لا يدرون ما فعل الله بأعداءهم ، والنبى ﷺ يُطمئن المسلمين ويدعوا الله تعالى بالنصر ، فيلهج لسانه بالدعاء قائلاً : « اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ... » وتصعد الدعوات الصادقة إلى السماء من الفم الطاهر قائلاً : « اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ... » .

وهكذا كانت استجابة الله لدعاء الرسول ﷺ ، ورأفته العظيمة بحال جيش المسلمين المحاصر من فوقه ومن أسفل منه ، والذى بلغ منه الجهد مبلغه ، هكذا بعث الله جنوده : الرعب ، الرياح لتخترق قلوب الأعداد وصفوفهم ، ولتقلب عليهم خيامهم وقدورهم ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ** ﴾ [١] .

ويحكى كاتم سر [٢] رسول الله ﷺ هذا الموقف فيقول : « رأيتنا ليلة الأحزاب ، ونحن قعود ، وأبو سفيان ومن معه فوقنا وقريظة أسفل منا نخافهم على ذرارينا– أولادنا – وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة ، ولا أشد ريحاً منها ، تَطِنُ فى رياحها أصوات الصواعق ، وما يستطيع أحدنا أن يرى اصبعه من قتامها السائد ، وما كان عليّ إلا مراط

---

(١) سورة المدثر الآية « ٣١ » .
(٢) حذيفة بن اليمان رضي الله عنه .

- كساء - لا مرأتى لا يجاوز ركبتِي ، فأتانى رسول الله ﷺ وأنا جاثٍ على الأرض - قاعد - ، فقال : مَن هذا ؟ فقلت : حذيفة ، فقال حذيفة فتقاصرت فى موضعى وأنا أقول : بلى يارسول الله ، كراهية أن أقوم فندبنى [١] ، لما يريد ، وقال : إنه كائن اليوم خبر فى القوم فأتنى به ، فخرجت وأنا أشر الناس فزعاً ... ، فدعا لى بخير ، فمضيت لشأنى كأنما أمشى فى حمام [٢] ، وأوصانى ألاَّ أُحدث فى القوم حدثاً حتى آتيه ، فلما دنوت من معسكر القوم أبصرتُ ضوء نار توقد ، وإذا رجل أدهم ضخم يمد يديه إلى النار مستدفئاً ويمسح خاصرته ، ويقول : الرحيل الرحيل ، ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك ، فوضعت سهماً فى كبد قوسى وأردت أن أرمية ثم ذكرت وصية رسول الله ﷺ فأمسكت ، ولو رميته لأصبته .

وأحسست عصف الريح فى جنبات المعسكر لا تقر قدراً ولا ناراً ولا بناءً ، ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، قد أهلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإنى مرتحل ، ثم قام إلى جملة وهو معقول « مربوط » ، فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على

---

(١) يعنى كلفنى بالسير إلى معسكر المشركين لمعرفة خبرهم .
(٢) وهذا من بركة طاعته للرسول ﷺ أذهب عنه برد الجو فشعر بالحرارة .

ثلاث ، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم »[١] .

ورجع حذيفة يبشر النبى ﷺ بالنصر ، وبهزيمة المشركين وعودتهم خائبين خاسرين ، وانفك الحصار عن المدينة ، وارتحل الأحزاب ، فهتف رسول الله ﷺ قائلاً: «لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده »[٢] .

وفى هذا الجو الملتهب ، وتلك الأحداث المتلاحقة ، نسى الأصحاب الكرام صلاة العصر فقضوها مع رسول الله ﷺ بعد غروب الشمس ، فقد جاء عمر بن الخطاب يوم الخندق بعدما غربت الشمس فجعل يسبّ الكفار ، فقال يارسول الله : ما كدت أصلى العصر حتى كادت الشمس أن تغرب ! ... قال النبى ﷺ : « والله ما صليتها» فقمنا إلى بطحان فتوضأ للصلاة ، وتوضأنا لها ، فصلى العصر بعدما غربت الشمس ، ثم صلى بعدها المغرب[٣] .

هذا وقد تأكدت بعد هذه الغزوة قوة المسلمين،وتأييد الله تعالى لهم وصبرهم وثباتهم ، وأن المشركين لن يقدروا من بعد على غزوهم ، ولذلك قال رسول الله ﷺ بعدها : « الآن نغزوهم ولا يغزوننا »[٤] .

---

(١) حديث حذيفة هذا الطويل فى البخارى ومسلم وغيرهما باختلاف يسير فى اللفظ .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) رواه البخارى .

الدروس المستفادة :

١ – أهمية الشورى فى الحرب وأخذ آراء الجنود ، ففكرة حفر الخندق كانت هى الأساس الذى بنيت عليه الحرب ، وكانت حاجزاً منيعاً يحول دون وصول الأحزاب إلى المدينة ، ودون القتال والإلتحام المباشر ، ويعزز موقف المسلمين .

٢ – أيضاً فكرة الخندق لم تكن تعرفها العرب ، فقد كانت فكرة فارسية ، أدلى بها سلمان الفارسى ، وهذا يؤكد أن المسلم مطالب باستخدام أى وسيلة حربية جيدة بغض النظر عن مصدرها .

٣ – حقد اليهود المتعمق فى نفوسهم ضد الإسلام يدل على محاولتهم القضاء عليه عن طريق جمع الأحزاب بتلك الطريق .

٤ – نقض العهد يتجدد من اليهود ، مما يؤكد حقيقة نقضهم للعهود ، وخيانتهم وغدرهم .

٥ – الحرب خدعة ... مبدأ عظيم أخذ به المسلمون ، وموقف وحيلة نعيم بن مسعود كانت من أسباب النصر .

٦ – اشتراك الرسول ﷺ فى أعمال حفر الخندق يدل على عظمة الرسول ﷺ وعظمة الإسلام الذى لا يفرق بين الرسول ﷺ

والصحابة ، وبين القائد والجنود ، الكل يعلمون نفس العمل ، ليس هناك من تلفحه الشمس ومن يجلس فى ظل ظليل ، ليس هناك جندى جائع ، وقائد متخم من الشبع ، لقد كان رسول الله ﷺ يربط على بطنه حجراً من شدة الجوع .

٧ - هروب المنافقين عند الشدة ، فقد هربوا عند حفر الخندق ، فكانوا يتسللون خفية ، وعند المعركة كانوا يقولون بيوتنا عورة يريدون الفرار من القتال .

٨ - ثبات المؤمنين عند رؤية الأحزاب ﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [١] ، وخور عزيمة المنافقين ، وظنهم السيء بالله ورسوله وقولهم : ﴿ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾ [٢] .

٩ - اعتماد الدعاء كسلاح قوى فى مواجهة الأعداء ، فعندما علم الرسول ﷺ بخيانة بنى قريظة ، واحتمال أن يؤتى المسلمون من داخل المدينة ويؤذى النساء والأطفال ، كان السلاح الفعال « اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا ... » ، وكان الدعاء بالنصر

---

(١) سورة الأحزاب الآية « ١٢ » .
(٢) سورة الأحزاب الآية « ٢١ » .

على الأعداء : « اللهم منزلا لكتاب ، مجرى السحاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب » ، وقد كانت الإستجابة من الله تعالى بعد تمحيص المؤمنين وثباتهم .

١٠ – هذه الغزوة لم يحدث فيها قتال بالمعنى المعروف ، ولم تكن معركة سلاح ، ولكنها كانت معركة نفسية ، ومعركة أعصاب بالدرجة الأولى ، وقد ثبت المؤمنون حقاً وانخذل المنافقون ، وهذا يدل على أهمية الروح المعنوية لدى الجنود والتصديق بوعد الله ورسوله ، والإيمان العميق ، والثقة فى الله تعالى ، والتوكل على الله عز وجل ، بعد الأخذ بالقوة المتاحة والممكنة .

١١ –كان النصر فى هذه المعركة بجنود من قبل الحق تبارك وتعالى، وجنود الله كثيرة لا يعملها إلا هو ، وهى تتنزل على من يستحق النصر من المؤمنين بحق ، الذين بذلوا قصارى جهدهم من الإستعداد المادى ، وقلوبهم عامرة بالإيمان ، قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا** (٩) ﴾[1] .

---

(١) سورة الأحزاب الآية « ٩ » .

أسئلة :

١ - من الذى جمّع الأحزاب لحرب رسول الله ﷺ ؟ .

٢ - كم كان عدد الأحزاب فى هذه الغزوة ، وما تقسيماتهم ؟ .

٣ - ما وجه الخطر على جيش المسلمين فى الغزوة من خيانة بنى قريظة ؟ .

٤ - « الحرب خدعة » اذكر ما يدل على ذلك من أحداث الغزوة .

٥ - اذكر موقفاً يدل على بركة الرسول ﷺ من أحداث الغزوة .

٦ - الرسول ﷺ اشترك مع المسلمين فى حفر الخندق ، وكان يربط على بطنه حجراً من شدة الجوع ، على أى شىء يدل هذا الموقف ؟ .

٧ - أذكر أسباب النصر فى المعركة، وجنود الله التى أيد بها المؤمنين .



[غزوة بني قريظة]

الزمان : فى السنة الخامسة للهجرة ، بعد الانتهاء من الأحزاب مباشرة .

المكان : حصار يهود بنى قريظة بمكانهم بالمدينة .

الأحداث :

بعد أن نصر الله عبده – فى غزوة الأحزاب – وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ، ورجعوا – اليهود والمشركون – يحملون خيبة الأمل إلى دورهم فى مكة وجوارها ، ووضع المسلمون السلاح ليستريحوا قليلاً من عناء حصار دام قرابة الشهر ، شهد المسلمون فيه ألواناً من الضغط النفسى ، وتوتر الأعصاب ، انتصروا عليها بقوة إيمانهم العظيمة ، وثقتهم فى الله الأكيدة ، جاء جبريل الأمين إلى رسول الله ﷺ يقول : أوقد وضعت السلاح يارسول الله ؟! قال : نعم ، قال جبريل : فما وضعت الملائكة السلاح بعد ، وما رجعت الأن إلا من طلب القوم ، إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بنى قريظة ، فإنى عامد إليهم فمزلزلٌ بهم .

فصاح النبى ﷺ فى أصحابه : « **من كان مؤمناً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة** » .

نعم فكيف يستريح المسلمون ، ويضعون أسلحتهم ويتركوا هؤلاء اليهود الخونة الذين نقضوا العهد ، وأعلنوا الحرب ، وأرادوا أن يستأصلوا شأفة الإسلام والمسلمين ، فقد كادوا أن يفشلوا خطة المسلمين لولا رعاية الله ، ثم إسلام نعيم بن مسعود وخدعته التى قام بها ، فكان لابد من الخروج إلى هؤلاء الخونة ، الذين نقضوا العهد ، وسبّوا الرسول ﷺ وأصحابه ، وقالوا : مالنا عهد مع محمد ، ومن يكون رسول الله ؟! ، فخرج المسلمون مسرعين إلى بنى قريظة ممتثلين لأمر الرسول ﷺ : « لا يصلين أحدكم العصر إلا فى بنى قريظة » ، وفى الطريق قالت طائفة من المسلمين أن النبى ﷺ يقصد أن نُسرع إلى بني قريظة ، ونخشي أن تفوتنا صلاة العصر وتغرب الشمس ، فلنصلِّ العصر ولنسرع ونُجِدْ فى المسير ، وطائفة أخرى من المسلمين قالت : بل يقصد الرسول ﷺ أن نصلى العصر فى بنى قريظة حتي لو تأخرنا عن الصلاة وفات وقتها ، وصلوا العصر بعدما وصلوا بعد غروب الشمس ، وحينما علم رسول الله لم يعنف أحداً منهم ، وفى هذا إقرار لهذا الفهم وذاك ، وكلا الفريقين كان يبغى الحق ، لكن اختلفت العقول ، والإسلام يحترم اختلاف وجهات النظر الصادرة عن فهم للنصوص وإخلاص .

وقد كان الهدف من إسراع المسلمين إلى بنى قريظة حتى لا يدع

لهم الفرصة فى استكمال العدة والتحصين بالحصون ، والمباغتة وعنصر المفاجأة من أهم العناصر القتالية ، ووصل المسلمون إلى بنى قريظة ووصلت طلائع جيش الرسول ﷺ ، وكان يحمل لواء جيش المسلمين يومئذ عليّ بن أبى طالب - رضي الله عنه - وحين رأى يهود بنى قريظة المسلمين قادمين سبُّوا رسول الله ﷺ ونساءه سباً قبيحاً ، وكانوا لا يزالون لا يدرون ما فعل الله بجيش الكفر والأحزاب ، فما زالوا يظنون أن خطتهم قد نجحت وأنهم سوف يستريحون من بأس المسلمين .

وحين وصل رسول الله ﷺ نفسه قابله عليٌّ الذى سمع سب اليهود للرسول ﷺ ونساءه ، فأراد ألاَّ يؤذى مسامع الرسول ﷺ وأراد أن يصرفه بعيداً عنهم ، وقال : يارسول الله لا عليك أن تدنوا من هؤلاء الخبثاء ، فعلم النبى ﷺ أنهم قالوا عنه شيئاً ، فقال لعليٍّ : « لم ؟! لعلك سمعت لى منهم أذى ! » قال عليّ : نعم يارسول الله ، قال ﷺ : « **لو رأونى لم يقولون من ذلك شيئاً** » ، فدنا عليه الصلاة والسلام من حصونهم ثم قال : « **يا إخوان القردة والخنازير ، هل أخزاكم الله ، وأنزل بكم نقمته** ؟!! » قالوا : يا أبا القاسم ، ما كانت جهولاً ترى ماذا يستحق هؤلاء اليهود الذين ما وجدوا من المسلمين إلا خيراً وبراً وصدقاً ووفاءً باعتراف قائدهم كعب ابن أسد ؛ ثم نقضوا العهد وأعلنوا الحرب المسلحة على المؤمنين وتحالفوا مع قوى الشرك

والعدوان ، فأصبح المسلمون محاصرين بين العدو فى الشمال والجنوب ، وعاش المسلمون ساعات قاسية لم تمر عليهم مثلها ، قال الله تعالى : ﴿ **إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١)** ﴾ [(١)] ، لقد أصبح فى تلك اللحظات الرهيبة الحظر محدقاً بالمسلمين جميعاً ، ولا يوجد من يحمى النساء والأطفال فى المدينة من بطش اليهود ، إلا الله تعالى الذى نصر المسلمين وحده ، وهزم الأحزاب وحده .

هؤلاء اليهود ماذا يستحقون ؟ وبأى قانون يحاكمون ؟! لقد حاصرهم المسلمون فى حصونهم حصاراً شديداً ، وحين أحكم المسلمون الحصار على بنى قريظة، وظل الحصار خمساً وعشرين ليلة ، حتى أيقن اليهود أنه لا محالة ، ولابد من الإستسلام ، والخضوع لحكم المسلمين فيهم جزاء خيانتهم وغدرهم ، ولما وجد ذلك زعيمهم وقائدهم كعب ابن أسد عرض عليهم أموراً للخروج من هذا المأزق وذلك الخطر المحدق بهم .

قال كعب : يا معشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإنى عارض عليكم خلالاً ثلاثة فخذوا أيها شئتم ، قالوا : وما هى ؟ ، قال

---

(١) سورة الأحزاب الآيات « ١٠ ، ١١ » .

سيدهم : أن نتابع هذا الرجل ونصدقه « يقصد محمداً ﷺ » فوالله لقد تبين لكم أنه نبى مرسل ، وإنه للذى تجدونه فى كتابكم ، فتأمنون به على نساءكم وأموالكم ودماءكم ، فلم يرضوا وأبوا متابعة النبى ﷺ ، فعرض عليهم الاقتراح الثانى فقال : فإن أبيتم فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبينه ، فإن نهلك ، نهلك ولم نترك وراءنا ثقلاً نسلاً نخاف عليه، وإن نظهر فلعمرى لنجدن النساء والأبناء .

قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ؟ فما خير العيش بعدهم .

قال : فإن أبيتم عليّ هذه ، فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب منهم غرة .

قالوا : نفسد سبتنا علينا ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا ؟!.

قال كعب ابن أسد بعدما يأس منهم - وهم قومه - : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة من الدهر حازماً .

هكذا رفض اليهود حلول سيدهم التى اقترحها عليهم ، وماكان منهم إلا الإستسلام ليروا ما يفعل بهم ، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث لنا أبا لبابة [١] ، لنستشيره فى أمرنا ، فبعثه رسول الله ﷺ

(١) هو أبو لبابة بن عبد المنذر ، مسلم من الأنصار ، كان فى حلف مع بنى قريظة قبل إسلامه .

إليهم ، فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والأطفال يبكون في وجهه ، فرقّ لهم وقالوا له : يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار إلى حلقه يعنى الذبح .

عندئذ شعر أبو لبابة بأنه قد خان الله ورسوله ، فقد أخبرهم بحكم رسول الله ﷺ فيهم ، فذهب أبو لبابة إلى المسجد ولم يرجع إلى رسول الله ﷺ يخبره بما حدث ، وربط نفسه فى سارية فى المسجد ، وقال : لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله عليّ مما فعلت .

فلما بلغ رسول الله ﷺ أمره ، قال : « أما إنه لو جاءنى لاستغفرت له ، أما إذا فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه » .

عن أم سلمة زوج النبى ﷺ قالت : إن رسول الله ﷺ قال لها : « لقد تاب الله على أبى لبابة » ، قالت : أفلا أبشره يارسول الله ؟ ، قال : « بلى إن شئت » ، فقامت على باب حجرتها - وذلك قبل الحجاب - فقالت : يا أبا لبابة ، أبشر فقد تاب الله عليك .

وهذا هو إخلاص الجندى المسلم لله ولقيادته ، فبالرغم من عدم علم أحد بما فعل أبو لبابة لأنه كان عند بنى قريظة ، ولم يره أحد من المسلمين ، إلا أنه يعلم أن الله تعالى يراه ، وأنه بفعلته هذه قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، ولابد من أن يتوب الله عليه ، وأن يذهب إلى القائد

ليعرف ما وقع فيه .

ونزل بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ ، لكن رسول الله ﷺ أراد أن يجعل حكمهم فى يد أحد أكبر حلفاءهم السابقين ألا وهو سعد بن معاذ سيد الأوس أحد قبيلتى الأنصار ، وقد كان سعد حينئذ يداوى من جراحه التى أصابته من أثر السهام التى نالت منه فى غزوة الأحزاب حين تراشق المسلمون والمشركون بالنبل ، وقد كان يعالج فى خيمة طبية تشرف عليها امرأة من الأنصار تدعى رفيدة ، وهى تلقب فى كتابات المسلمين المعاصرين بأنها أول طبيبة فى الإسلام ،كانت تداوى الجرحى ، والمقاتلين وتمرضهم، وكان لديها خبرة كبيرة فى هذا الأمر.

جاء سعد بن معاذ مثقلاً بجراحه محمولاً على دابته ، والناس يقولون له يا أبا عمرو أحسن فى مواليك ، فقال سعد : آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم ، حتى وصل إلى رسول الله ﷺ فى جمع من المسلمين وفيهم الأوس ، فقال للأوس: قوموا إلى سيدكم أو خيركم ، ثم قال : إن هؤلاء نزلوا على حكمك [١] ، قال سعد : نقتل مقاتلهم ، وتسبى ذراريهم ، فقال له النبى ﷺ : « **قضيت بحكم الله تعالى** » [٢] .

---

(١) يقصد يهود بنى قريظة .
(٢) رواه البخارى ومسلم .

ماذا عسى أن يكون جزاء هؤلاء الغادرين الخائنين المتآمرين على استئصال الإسلام غير القتل ؟! ، وكان فى حصون يهود بنى قريظة حينئذ حيى بن أخطب رأس الأفعى الذى سعى ليجمع الأحزاب لقتال المسلمين ، وحين أُخذ ليقتل كشف عن حقده السامى ، وضغينته على المسلمين وعلى محمد ﷺ فقال ذلك اليهودى : يا محمد أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ، ولكنه من يخذل الله يُخذل !! ، سبحان الله ، أبعد كل هذا يصر على الكفر والعناد والتكذيب ، وهو يقول بنفسه ويعترف أنه من يخذل الله يُخذل ، وهو يعرف أن النبى محمد ﷺ نبى صدق ، ورسول صدق !! ، إن نفسية هؤلاء اليهود تحتاج إلى دراسة مستفيضة !! .

وقتل النبى ﷺ منهم امرأة واحدة ، لأنها قتلت « خلاد بن سويد » حين طرحت عليه الرحى ، فأردته قتيلاً .

أما سعد بن معاذ - رضي الله عنه - فلم يمكث طويلاً بعد الغزوة ، فقد دعا الله تعالى قائلاً : « اللهم فإنى أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم [١] ، « بين المسلمين وقريش » فإن بقى من حرب قريش شىء فأبقنى له حتى أجاهدهم فيك ، وإن كنت وضعت الحرب فافجرها ،

---

(١) وكان حقاً ما ظن سعد ، فلم يحدث بين المسلمين وقريش حرب بعدها ، فحدثت الهدنة ، ثم الفتح .

واجعل موتى فيها »[(١)] .

وما كاد ينتهى سعد من دعاءه حتى استجاب الله له ، فانفجر جرحه دماً ، ومات من توه شهيداً فى سبيل الله .

يقول الحسن البصرى - رضي الله عنه - : كان سعد رجلاً بادناً[(٢)] ، فلما حمله الناس وجدوا له خفة ، فقال رجال من المنافقين : والله إن كان لبادناً ، وما حملنا من جنازة أخف منه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : « **إن له حملة غيركم ، والذى نفسى بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد ، واهتز له العرش.** » .

ورحم الله سعد بن معاذ ، لقد كان رجلاً مخلصاً فى إسلامه ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، يحب الموت فى سبيل الله ، وإعلاء كلمته ، أقسم على الله فأبره ، ورزقه الله الشهادة فى سبيله ، وحملته الملائكة مستبشرة به ، واهتز له العرش .

اللهم ارزقنا الشهادة فى سبيلك ، وألحقنا به وبرسولك ﷺ فى الصالحين ، وقد نزلت الآيات فى سورة الأحزاب تحكى وقائع غزوة الخندق وبنى قريظة ، حتى تظل درساً للمؤمنين أبداً لا ينسى .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رجلاً بادناً : يعنى سميناً ثقيلاً .

الدروس المستفادة :

١ - علم اليهود بصدق النبى ﷺ وسلامة دينه ، وأن عندهم دلائل على ذلك يخفونها .

٢ - جبن اليهود وخوفهم من القتال ، واعتمادهم بالدرجة الأولى على التحصينات العسكرية لحمايتهم .

٣ - قبول الإختلاف بين المسلمين مع بعضهم البعض بصدر رحب ، وإقرار النبى ﷺ له ، واتساع بعض النصوص لوجهات النظر المختلفة ، وهذا يفسر بعض أنواع الإختلافات بين الفقهاء .

٤ - التربية الإيمانية العظيمة التى نالها الصحابة رضوانُ الله عليهم ، جعلتهم يحكمون بحكم الله تعالى ، ولا تأخذهم فى الله لومة لائم ، واتضح ذلك فى موقف سعد بن معاذ ، وحكمه على بنى قريظة .

٥ - موالاة الله ورسوله والمؤمنين ، ومعاداة من يعاديهم حتى لو كان على عهد معه من قبل ، لأن من نقض عهد الله ، وحارب المؤمنين وتآمر عليهم ، فلا يمكن أن يكون مأموناً ، ولا يصلح للموالاة أبداً .

٦ - أن اليهود لا يألون جهداً فى محاربة المسلمين ، ويبذلون فى سبيل ذلك كل ما يستطيعون ، وهدفهم الأسمى القضاء على

الدين الإسلامى ، واستئصال الدعوة برمتها ، ولا يندمون على هذه الأفعال رغم طغيانها وضلالها ، لأن لديهم حقداً دفيناً على النبى ﷺ والمسلمين ظهر ذلك من خلال قول حيى بن أخطب وهو يساق للقتل حين قال : يا محمد ، أما والله ما لمت نفسى على عداوتك .



أسئلة :

١ – لماذا ربط أبو لبابة نفسه بسارية فى المسجد ؟ .

٢ – ما الإقتراحات التى قدمها كعب بن أسيد سيد يهود بنى قريظة لقومه حين نفذ صبرهم من الحصار ؟ .

٣ – أذكر مما سبق ما يدل على علم اليهود بصدق النبى ﷺ فيما يبلغ عن ربه .

٤ – لماذا أمر النبى ﷺ المسلمين ألاَّ يصلى أحدهم العصر إلا فى بنى قريظة .

٥ – سعد بن معاذ سيد الأوس ، لماذا تم اختياره بالذات ليحكم فى بنى قريظة .

٦ – قال الناس لسعد : أحسن فى مواليك يقصدون ألاَّ يشدد العقاب على بنى قريظة ، فبم ردَّ عليهم ؟ وعلى أى شىء يدل رده ؟ .

٧ – ما حكم سعد الذى حكم به فى بنى قريظة ؟ ، ولم حكم عليهم بهذا الحكم بالذات .



[أمر الحديبية]

الزمان : فى شهر ذى القعدة من العام السادس الهجرى .

المكـان : فى مكان يقال له الحديبية ، أسفل مكة .

الأحداث :

دعا النبى ﷺ المسلمين للذهاب إلى مكة معتمرين ، فتبعه جمع كبير من المهاجرين والأنصار يقدر عددهم بحوالى ألف وأربعمائة أو ألف وخمسمائة ، كما هو مشهور ، فى شهر ذى القعدة من العام السادس للهجرة ، وساق المسلمون معهم الهدى [١] ، وأحرموا بالعمرة حتى يأمن المشركون من حربهم .

هكذا خرج المسلمون جميعاً معتمرين يقصدون بيت الله الحرام ، ولا يبغون قتالاً ، وحينما سمع المشركون بقدومهم خرجوا لملاقاتهم ومنعهم من دخول مكة ، ووصلت الأخبار إلى رسول الله ﷺ فاستشار المسلمين فى الأمر ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، لقد خرجنا نقصد بيت الله الحرام معتمرين لا نريد حرباً ولا قتالاً ، فمن صدنا عن بيت الله الحرام ، قاتلناه .

---

(١) الهدي : ما يُساق من الغنم بقصد الذبح فى الحج أو العمرة .

فقال عليه الصلاة والسلام : « **فامضوا على اسم الله** » ، فمضوا وسلك المسلمون طريقاً وعراً إلى مكة غير معتاد ، حتى إذا وصلوا إلى مكان يقال له « ثنية المرار » قرب الحديبية بركت ناقة رسول الله ﷺ ، فلم تتحرك ، فأخذ الناس يقولون لها حل ... حل [١] ، فلم تتحرك ، فقالوا : خلأت القصواء [٢] ، فقال النبى ﷺ : والله ما خلأت ، وماهو لها بخلق ، ولكنها حبسها حابس الفيل [٣] ، عن مكة ، لا تدعونى قريش اليوم إلى خطة يسألوننى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها » ، ثم قال للناس : أنزلوا ، قالوا : يا رسول الله بهذا الوادى ماءً ، فأخرج النبى ﷺ سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل به بئراً فغرسه فى جوفه ، ففاض الماء من البئر [٤] .

وتلك من معجزات الرسول ﷺ وبركاته ، واستراح المسلمون بهذا المكان ، ولم يمض كثير من الوقت حتى جاءهم رجل يقال له بديل ابن ورقاء الخزاعى يقول لهم : إنى تركت قريشاً قد نزلوا بالحديبية ومعهم العوذ والمطافيل [٥] ، يريدون قتالكم ومنعكم من دخول مكة ، فقال عليه الصلاة والسلام : إنا لم نجىء لقتال أحد ، ولكن جئنا

---

(١) كلمة تُقال للناقة كى تتحرك .

(٢) بركت ولم تنهض ، والقصواء اسم ناقة رسول الله ﷺ .

(٣) المقصود حبسها أمر الله ، الذى أوقف فيل أبرهه عند محاولة هدم الكعبة .

(٤) انظر نص هذا الحديث فى صحيح البخارى « كتاب المغازى » .

(٥) المقصود الإبل الصغيرة والكبيرة ذات الألبان ، وذلك استعداداً للحرب .

معتمرين ، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب ، وأضرت بهم ، ماذا لو خلّوا بيني وبين العرب ، فإن هم أصابوني كان ذلك الذى أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين ، فما تظن قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهد حتى تنفرد هذه السالفة [(١)] .

فرجع بديل بن ورقاء إلى قريش فحدثهم بما سمع من رسول الله ﷺ ، وقال لهم : إن محمداً لم يأت لقتالكم ولكنه جاء معتمراً ومعظماً بيت الله الحرام ، فقالت قريش : إن كان لا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوة [(٢)] ، أبداً ، حتى لا يتحدث بذلك عنا العرب ، ولما رأت قريش ذلك التصميم من رسول الله ﷺ على دخول مكة والعمرة ، رأت أن تبعث إليه الرسل للتفاوض معه ، فأرسلت قريش زعيم الأحابيش ويقال له الحليس بن علقمة ، ولما رآه النبى ﷺ قال : إن هذا الرجل من قوم يتألهون [(٣)] ، فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه، وهذه فطنة من النبى ﷺ أنه أراد أن يكسب قلب الرجل الذى يعظم الله والبيت الحرام بأن يسوق الهدى فى وجهه فيعلم أن المسلمين قادمون للبيت الحرام وليس للحرب .

وصدقت نبوءة رسول الله ﷺ وفراسته فى هذا الرجل ، فلم يكمل

---

(١) السالفة صفحة العنق ، والمقصود حتى استشهد فى سبيل الله .
(٢) يعنى لا يدخلها غصباً عنهم .
(٣) يعنى : يعظمون الله تعالى .

المسير لرسول الله ، ولكنه رجع لتوه إلى قريش ليقول لهم : إن محمداً لم يأت للحرب ، وإنما جاء تعظيماً للبيت الحرام ، فقالوا له : إنما أنت أعرابى لا علم لك ، فغضب وردّ عليهم قائلاً : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقدناكم ، أتصدون عن بيت الله الحرام من جاء معظماً له ؟! ، ثم أقسم فقال : والذى نفس الحليس بيده لتخلّن بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد ، فخافوا منه وقالوا : كف عنا ياحليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

وقام عروة بن مسعود الثقفى فقال لقريش : أذهب إلى محمد فأكلمه ؟! قالوا : لك ذلك ، فذهب عروة بن مسعود إلى المسلمين فكلّم رسول الله ﷺ وقال له : إن قريشاً قد خرجوا يعاهدون الله أن لا تدخل عليهم عنوة ، ثم عاب فى أصحاب رسول الله ، فقال : لكأنى أنظر إلى هؤلاء وقد فروا عنك ، وكان أبو بكر يجلس بجوار النبى ﷺ فسمع مقالة عروة ، فشتمه وسبه وقال : أنحن نفر وننكشف عن رسول الله ؟! .

وكان عروة كلما كلّم النبىﷺ يمسك بلحيته فيجد سيفاً يضرب يده وصوتاً يقول له : كف يدك عن لحية رسول الله قبل أن لا تعود إليك ، ذلك سيف وصوت المغيرة بن شعبة الذى كان يقف خلف

رسول الله ﷺ ، وكان عروة يرمق أصحاب رسول الله ﷺ بعينيه ليرى مدى حبهم لرسول الله ودفاعهم عنه .

وردّ رسول الله ﷺ على عروة بأنه جاء للعمرة ولم يأت للحرب ، فرجع عروة إلى قريش فقال لهم : والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى ، والله ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمدٍ محمداً ، وقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً « يعنى لن يتخلوا عنه أبداً » .

ورأى رسول الله ﷺ حلاً للموقف فى أن يرسل عثمان بن عفان - رضي الله عنه - رسولاً إلى أبى سفيان بن حرب وسادات قريش بمكة ليخبرهم بأن رسول الله ﷺ وصحابته جاءوا ليتعمروا ، ولم يأتوا لحرب ، فلا داعى لأن يدخلوا فى حرب مع رسول الله ﷺ والمسلمين وهم قد جاء معظمين البيت الحرام .

وحين وصل عثمان مكة لقيه سعيد بن العاص فأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ ، فقالت قريش لعثمان بعد أن بلغهم رسالة رسول الله ﷺ ، قالوا له : إن شئت أنت أن تطوف بالبيت فافعل ، فقال عثمان : لا ماكنت أطوف بالبيت حتى يطوف به رسول الله ﷺ ، فاحتبسته قريش أياماً ، فبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قد قُتل ، فقال

عليه الصلاة والسلام : والله لا نبرح حتى نناجز القوم [(١)] ، ثم أخذ الرسول ﷺ من المسلمين البيعة على ألاّ يفرّوا ، إنها بيعة على الموت على القتال فى سبيل الله أو النصر على المشركين ، فعدم الفرار يعنى الإقدام وهو ما يعنى بطبعه الموت أو النصر .

وقد رضى الله عن هذه البيعة ، ونزل القرآن من فوق سبع سماوات ليبارك هذا العمل ، قال الله تعالى : ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨)** ﴾ [(٢)] .

وسميت تلك البيغة « بيعة الرضوان » أو « بيعة الشجرة » وقد بايع الرسول ﷺ كل صحابى فيها بيده ، ثم أخذ الرسول ﷺ بيد نفسه الأخرى وقال : هذه عن عثمان ، وبعد أن تمت البيعة ، تبيّن أن ما ذكر كان مجرد إشاعة غير صحيحة وما زال عثمان بمكة يحتبسه المشركون ، وسوف يرسله المشركون إلى المسلمين عما قريب ، ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو إلى المسلمين ، فلما رآه النبى ﷺ قادماً ، قال : قد أراد القوم الصلح .

وكان هذا فعلاً ما أرسلته قريش من أجله أن يصالح المسلمين على

---

(١) يعنى : نحاربهم ونقاتلهم .
(٢) سورة الفتح الآية « ١٨ » .

أن يرجعوا عامهم هذا ، وليأتوا البيت الحرام السنة القادمة ، وتم الإتفاق على الصلح ، وبدأ المسلمون فى كتابة بنوده ، فدعا النبى عليه الصلاة والسلام علياً ليكتب الصلح ، وأملى عليه النبى ﷺ بنود الصلح مبتدأ بقوله : «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم» ، فاعترض سهيل بن عمرو قائلاً : أما الرحمن فوالله ما أدرى ماهو ، ولكن اكتب باسمك اللهم ، فقال المسلمون والله لا نكتب إلا بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال النبى ﷺ لعليّ «أكتب باسمك اللهم » ، ثم قال : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ، فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبد الله ، فقال رسول الله ﷺ : «والله إنى لرسول الله وإن كذبتمونى»(١) .

ثم أمر علياً أن يكتب محمد بن عبد الله ، فقال النبى ﷺ : « على أن تخلوا بيننا وبين البيت لنطوف به » ، قال سهيل : والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام القادم وليس مع المسلمين إلا السيوف فى قرابها ، فكتب ، فقال سهيل : وعلى ألاَّ يأتيك معنا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ، ومن جاء منكم لا نرده عليكم ، فقال المسلمون : سبحان الله ، كيف يُردّ إلى

---

(١) ثم أمر علياً أن يمحو لفظ رسول الله ﷺ ، فأبى عليّ ، فمحاه رسول الله ﷺ .

المشركين وقد جاء مسلماً ؟! ، والتفتوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه : أنكتب هذا يارسول الله ؟ قال : «نعم ، إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله [١] ، ومن جاءنا منهم فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً » .

قال ابن هشام : « واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيهن الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، وإنه لا إسلال ولا إغلال [٢] .

تلك الشروط التى اتفق المسلمون عليها مع المشركين لوضع الحرب بينهم عشر سنين رأها بعض المسلمين أنها شروطاً مجحفة للمسلمين ، وظن البعض أنهم قد أعطو الدنية فى دينهم ، وكان من عبر عن هذا الرأى الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، جاء إلى النبى ﷺ يقول له : يا رسول الله ألست نبى الله حقاً ؟! ، قال : بلى [٣] ، قال : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟! ، قال : بلى ، قال : أليس قتلانا فى الجنة ، وقتلاهم فى النار ؟! ، قال : بلى ، قال عمر : ففيم نعطى الدنية من ديننا [٤] ؟! ، قال عليه الصلاة والسلام : إنى رسول الله ولست أعصيه ، وهو ناصرى ، قال عمر : أولست كنت

---

(١) حديث كتابة الصلح فى البخارى ومسلم .
(٢) إسلال يعنى سرقة ، إغلال تعنى خيانة .
(٣) كلمة « بلى » يجاب بها لإثبات السؤال المنفي .
(٤) يعنى لم نرض بالشروط الأدنى لنا ، وقد ظن أن فى ذلك استسلام .

تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به ؟ ، قال ﷺ: بلى ، أفأخبرتك أنك تأتيه هذا العام ؟! ، قال عمر : لا ، قال عليه الصلاة والسلام : فإنك آتية فمطوف به ، فلم يصبر عمر فذهب إلى أبى بكر يسأله ، فأجابه أبو بكر بقوله : إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً ، فما هو إلا أن نزلت سورة الفتح على رسول الله ﷺ ، فأرسل إلى عمر فأقرأها إياه ، فقال عمر : يا رسول الله أو فتح هو ؟ قال : نعم ، فطابت نفس عمر » .

لقد كان عمر- رضي الله عنه - كباقى المسلمين متضايقاً مما فى شروط الصلح من إجحاف بحق المسلمين ، وكان يتمنى ألا يقبل المسلمون بهذه الشروط ، لكن النبى عليه الصلاة والسلام نبى مرسل ومبلغ عن ربه ، وهو ينظر إلى أبعد مما ينظر عمر إليه ، ثم إنه عليه الصلاة والسلام قد فهم من بروك ناقته الذى حدث ، وتوقفها عن المسير إلى مكة ، وأن ذلك بإذن الله تعالى ، قد فهم من هذا أن الله تعالي لا يريد منه أن يحارب قريشاً ، وأن هذا الصلح سيكون خيراً بإذن الله تعالى ، وقد تحقق هذا بالفعل فيما سيأتى بيانه .

كيف ثبت أن الصلح كان في صالح المسلمين :

لقد ضايق المسلمين شرط عدم قبول من أسلم من مكة فى المدينة ورده إلى مكة ، وأن من ذهب من المسلمين إلى قريش لا يرد إلى المسلمين ، وقد أثبتت الأيام أن هذا الشرط كان فى صالح المسلمين

فعلاً ، ذلك أن المسلمين بعد أن وقَّعوا الصالح وأشهدوا عليه الشهود ، وقبل أن ينصرف سهيل ابن عمرو ، وعلى ملأ من المسلمين جاء أبو جندل هارباً من المشركين ، وقد أسلم ، والتقط أنفاسه حين وصل إلى المدينة فرحاً أنه سيكون مع المسلمين ولن يتعرض له أحد بأذى من المشركين ، وأبو جندل هذا هو أبو جندل بن سهيل بن عمرو ذلك المشرك الذى وقَّع للتو واللحظة العهد مع المسلمين ، ولما رأى سهيل ابن عمرو ابنه أبا جندل أمسكه وأخذ بتلابيبه ، ثم قال : يا محمد قد لجت القضية (١) ، بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال : صدقت ، وجعل سهيل يجرّ ابنه وأخذه إلى قريش ، وأبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أتتركونى للمشركين يفتنوننى فى دينى ؟ ، فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا جندل ، اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا أعطينا القوم عهوداً ، وإنا لا نغدر بهم » .

حتى هذه اللحظة الصورة مأساوية ، والظن السيء قد يتبادر من وساوس النفس ووساوس الشيطان ، يعود أبو جندل مع أبيه إلى مكة ، والمسلمون فى الحديبية قد أصابهم الأذى الكثير لهذا المنظر الذى رأوه ، لكن الأمر لا يدوم طويلاً ، فقد أسلم رجل آخر من قريش

---

(١) يعنى قد انتهى العهد بيننا قبل أن يأتى أبو جندل .

ويدعى « أبو بصير » ، ويهرب إلى المدينة ، فيرسل المشركون خلفه رجلين فى طلبه ، فسلمه الرسول ﷺ إليهما حسب بنود العهد ، ورجع الرجلان به إلى مكة وفى الطريق غافل أبو بصير أحدهما وأخذ منه سيفه وقتله ، وفر الآخر هارباً ، ثم رجع أبو بصير إلى المدينة ليخبر رسول الله ﷺ أنه نجا من هذين الكافرين ، وأن الرسول ﷺ برئ الذمة من ذلك ، لأنه سلمه إليهما .

ثم ذهب أبو بصير إلى سيف البحر وقعد هناك ، ثم فرَّ أبو جندل وذهب معه ، وأسلم آخرون من مكة ولحقوا بهم عند ذلك المكان ، فكانوا كلما مرت قافلة القريش إلى الشام اعترضوها وقتلوا مَن فيها وأخذوا أموالهم ، فسببوا أذىً بالغاً للمشركين ، فأرسل المشركون إلى رسول الله ﷺ يرجونه ويناشدونه الرحم أن يقبل إلغاء ذلك الشرط من بنود المعاهد التى بينهما ويقبل أولئك الذين أسلموا بالمدينة ، وهكذا تحقق وعد رسول الله ﷺ لأبى جندل حين قال له : « إن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين مخرجاً » ، فقد جاء الأمر من المشركين أنفسهم وندموا على ذلك الشرط ، وطلبوا ورجوا رسول الله أن يقبل هولاء المسلمين فى المدينة حتى لا يتسببوا لهم فى الأذى عند مرور قوافلهم التجارية .

لقد كان صلح الحديبية بمثابة فتح للمسلمين ، على الرغم من أن ظاهره كان فيه إجحاف بهم ، ففى هذين العامين ما بين صلح الحديبية وفتح المكة الذى سيأتى ذكره إن شاء الله دخل الإسلام كثير من المشركين ، حتى أن الذى خرج من المسلمين يوم الحديبية ألف وأربعمائة والذين خرجوا بعدها من المسلمين بعامين لفتح مكة كانوا عشرة آلاف مسلم .

قال الله تعالى : ﴿ **لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا** (٢٧) ﴾[1] .

ومما كان يوم الحديبية أنه بعد انتهاء الصلح ، ونتيجة لتأثر المسلمين نفسياً بشروط الصلح التى رأوا أنها مجحفة بحقوق المسلمين ، ولأنهم كانوا يتمنون العمرة هذا العام ، لم يستمعوا إلى أمر رسول الله ﷺ مباشرة بالحلق وذبح الهدى .

ودخل النبى عليه الصلاة والسلام على زوجته أم سلمة فذكر لها ذلك فقالت : يا رسول الله أخرج إليهم لا تكلم أحداً منهم ، حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك ، ففعل ذلك ، فلما رآه

---

(١) سورة الفتح الآية « ٢٧ » .

المسلمون قاموا فحلقوا ونحروا ، وربما أن المسلمين لم ينفذوا أمر رسول الله ﷺ بالنحر والحلق مباشرة لفرط غمهم وهمهم من ذلك الصلح والذى تبين لهم فيما بعد أنه كان فى مصلحتهم وكان فتحاً من الله قريباً .



الدروس المستفادة :

١ – تتجلى معجزات النبى ﷺ وبركاته فى كثير من الغزوات والمواقف، وفى هذه الغزوة تجلت فى نبوع الماء وفيضانه من أثر غرس سهم الرسول ﷺ فى ذلك البئر .

٢ – اتخاذ النبى ﷺ من الجهاد استراتيجية وطريقاً لتحقيق منهج الله ولدعوة الناس إلى الحق ولجعل شبه جزيرة العرب خالصة للمسلمين حتى تنطلق الدعوة منها إلى العالم أجمع ، ويظهر ذلك فى قوله عليه الصلاة والسلام : « فوالله لا أزال أجاهد حتى تنفرد هذه السالفة » ، والجهاد لا يقتصر على القتال فحسب ، وإن كان القتال هو أرقى صوره المادية .

٣ – معرفة النبى ﷺ وفهمه لطبائع الناس ، وحُسن تقديره للمواقف ، ويظهر هذا فى أمره ﷺ بأن يسوق المسلمون الهدى فى وجه زعيم الأحابيش « الحليس بن علقمة » لأنه من قوم يتألهون ، وكذلك فراسته فى أن سهيل بن عمرو ، قد جاء للتفاوض والصلح .

٤ – حب الصحابة رضوان الله عليهم وتفانيهم فى الحب لرسول الله ﷺ والدفاع عنه ، والذو عنه حتى لا يؤذى ولو بأبسط الأشياء ، ويتضح ذلك فى موقف أبى بكر ورده على عروة بن مسعود ، وموقف

المغيرة بن شعبه ، كذلك موقف الصحابة جميعاً ، ومدى تقديرهم واحتراهم للنبي ﷺ وتسابقهم في خدمته ، والنيل من بركته ﷺ وهذا الذي رآه عروة بن مسعود ، فعاد يحكي لكفار قريش أن ما رآه من محمد وأصحابه لم ير مثله من أصحاب ملوك الفرس والروم ، وأن أصحاب محمد ﷺ لن يسلموه أبداً ولن يخذلوه ، مما دبَّ الرعب في قلوب المشركين وجعلهم يسعون للصلح .

٥ - استجابة المسلمين لبيعة الرضوان ، واستعدادهم لخوض حرب شاملة ضد المشركين عندما علموا بمقتل عثمان ، ذلك الخبر الذي جاء بطريقة الخطأ ، لكنه أظهر صدق المؤمنين ، وصدق جهادهم .

٦ - أن الله تعالى يدافع عن الذين آمنوا ، وهؤلاء الذين حال الصلح بينهم وبين التحاقهم بالمسلمين في المدينة ، جعل الله لهم مخرجاً ، حتى أن قريشاً بعثت للرسول عليه الصلاة والسلام أن يقبلهم في المدنية بعد أن ألهمهم الله فكرة حرب العصابات مع القوافل المكية القادمة من الشام ، فسببوا قلقاً لقريش وأذىً كثيراً ، مما اضطرهم لإلغاء ذلك الشرط الذي كان مجحفاً بحق المسلمين .

٧ - استشارة النبي ﷺ أزواجه في بعض الأمور الخاصة بالمسلمين، ويظهر ذلك من موقف استشارته- رضي الله عنها - أم المؤمنين أم سلمة في أمر معصية المسلمين لأمر الحلق وذبح الهدى ، وعدم

تنفيذهم الأمر مباشرة ، فأشارت عليه بالرأى .

٨ - أهمية القدوة فى الحياة عموماً ، فالقائد القدوة يقتدى به الأتباع والفعل يؤثر بدرجة كبيرة أكثر من القول ، ويظهر ذلك من موقف خروج النبى عليه الصلاة والسلام وذبحه الهدى وحلقه ، مما أدى بالمسلمين إلى أن امتثلوا للأمر على الفور ، فحلقوا وذبحوا .

أسئلة :

١ – ما اسم ناقة النبى ﷺ ؟ ، ولماذا بركت عند « ثنية المرار » ، ولم تتحرك ؟ .

٢ – ما الذى دفع قريشاً لمنع المسلمين من أداء العمرة ذلك العام الذى خرج فيه المسلمون قاصدين البيت الحرام ؟ .

٣ – ما الشرط الذى أغضب المسلمين من شروط الصلح أكثر من غيره ؟ .

٤ – كم كانت مدة الصلح بين المسلمين وقريش ؟ .

٥ – ما الحيلة التى فعلها أبو بصير ومن أسلم معه من قريش لدفع المشركين للتنازل عن ذلك الشرط المجحف بحق المسلمين ؟ .

٦ – لقد كان صلح الحديبية فتحاً للمسلمين ، أذكر :

أ – الآية التى تدل على ذلك .

ب – أذكر من الأحداث ما يدل على ذلك .

٧ – على أى شىء يدل موقف بيعة الرضوان ؟ .

٨ – ما الإنطباع الذى تركته بعثة عروة بن مسعود إلى المسلمين فى نفس عروة عن الرسول ﷺ وأصحابه ؟ .

٩ – أذكر موقفاً من هذه الحادثة يدل على فراسة النبى ﷺ .

[غزوة خيبر]

الزمان : فى أواخر شهر المحرم فى العام السابع الهجرى .

المكـان : مدينة خيبر ذات الحصون والمزارع وتبعد مائة ميل عن المدينة فى اتجاه الشمال إلى الشام .

أطراف الغزوة :

بين المسلمين وعددهم ١٤٠٠ مقاتل وهم أصحاب بيعة الشجر ، وبين يهود خيبر المتحصنين فى حصونهم المنيعة .

أحداث الغزوة :

لقد أضحت خيبر وكراً للفساد والمكيدة ضد دولة الإسلام فى المدينة ، بعد فشل محاولات بنى قريظة وحلفاءها فى القضاء على المسلمين فى الأحزاب ، وبعد القضاء على بنى قريظة ، فقد التحق بيهود خيبر فلول اليهود المنهزمة فى الأحزاب ، ومنهم أبو رافع بن أبى الحقيق ذلك اليهودى الذى سعى فى نفر منهم لتأليب الأحزاب على المسلمين والقضاء على دولة الإسلام .

ولهذا اتجه المسلمون إلى خيبر وخصوصاً بعد أن اتجه يهود خيبر إلى قبائل غطفان ، وبعض العرب الآخرين يحاولون استمالتهم لحرب

الرسول ﷺ مرة أخرى ، وفى أواخر شهر المحرم من السنة السابعة للهجرة اتجه الرسول ﷺ فى ألف وأربعمائة مقاتل إلى خيبر لقتالهم ولتأديبهم على خيانتهم وتأليبهم العرب المشركين ضد المسلمين فى المدينة ، وعندما أشرف الرسول ﷺ على خيبر قال للمسلمين قفوا ثم دعا بالدعاء :

« اللهم رب السماوات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين ، فإنا نسألك خير هذه القرية ، وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها ، وشر أهلها ، وشر ما فيها » ، ثم قال : « اقدموا باسم الله » .

ووصل رسول الله ﷺ إلى خيبر مساءً ، وكان ﷺ لا يغزو أحداً بليل ، فانتظر المسلمون حتى الصباح ، وكان عليه الصلاة والسلام إذا سمع أذاناً [(١)] لم يغزُ القوم ، ولم يسمع المسلمون أذاناً ، فدخلوا خيبر فاستقبلهم عمال خيبر غادين إلى مزارعهم بمساحيهم ومكاتلهم [(٢)] ، وكانوا قد أمنوا أن يهاجمهم المسلمون [(٣)] ، فلما رأوا المسلمين رجعوا فزعين وهم يقولون : محمد والخميس [(٤)] ، وفروا هاربين ،

---

(١) وذلك لأن الأذان شعار الإسلام ، وإذا كان فى القوم أذانٌ فقد أسلموا .

(٢) آلات زراعية وهى « المجارف والقفف » .

(٣) وذلك لأنهم كانوا يظنون أن المسلمين خرجو لقتال غطفان وليس لقتالهم .

(٤) الخميس : تعنى الجيش .

وأراد النبى ﷺ أن يدخل الرعب فى قلوبهم فقال ﷺ : « **الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم ، فساء صباح المنذرين** »[(١)] .

وتحصن اليهود فى حصونهم التى ظنوا أنها مانعتهم من الله ، إلا أن المسلمين اقتحموها عليهم حصناً بعد حصن ، فخرج من الحصون فارس يدعى « مرحباً » وكان من مقاتلى خيبر الأشداء ، خرج للمسلمين يريد أن يبارزه أحدهم بالسيف ، وخرج وهو ينشد قائلاً :

قد علمت خيبر أنى مرحب ... شاكى السلاح بطل مجرَّب

أطعن أحياناً وحينا أضرب ... إذا الليوث أقبلت تحرَّب

فردَّ عليه كعب بن مالك قائلاً :

قد علمت خيبر أنى كعب ... مفرِّج الغمى جرئٌ صلبُ

إذا شبَّب الحرب تلتها الحرب ... معى حسام كالعقيق عضبُ

نطؤكم حتى يزل الصعب ... نعطى الجزاء أو يفئَ النهبُ

فقال رسول الله ﷺ : من لهذا ؟ ، قال محمد بن مسلمة : أنا له يارسول الله ، أنا والله الموتور الثائر ، قتل أخى بالأمس[(٢)] ، قال : فقم إليه ، اللهم أعنه ، فقام إليه محمد بن مسلمة فبارزه بالسيف ،

---

(١) رواه البخارى .

(٢) أخوه محمد بن مسلمة قتل عند فتح أول حصون خيبر ويدعى حصن « ناعم » .

فصولات وجولات ، حتى قتله (١) .

ثم قام أخوه ياسر « أخو مرحب » ليأخذ بثأر أخيه ، فقال : من يبارز فقام الزبير بعد العوام ، ابن عمة رسول الله ﷺ فقالت : أمه صفية : يقتل ابني يا رسول الله ، قال رسول الله ﷺ : بل ابنك يقتله إن شاء الله ، وخرج الزبير إلى ياسر فبارزه فقتله .

وبعث الرسول ﷺ أبا بكر برايته إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل ولكن الحصن لم يفتح على يديه ، فبعث يومه التالى عمر فقاتل أيضاً لكنه لم يستطع أن يفتح الحصن ، ثم قال رسول الله ﷺ : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ، ليس بفرار ، فأشرأبت (٢) ، أعناق الناس فى اليوم التالى كلٌ يريد أن يحظى بهذا الشرف ، فقال رسول الله ﷺ : « أين عليّ بن أبى طالب ؟ » قالوا : إنه يشتكى بعينيه « أصابه الرمد » فقال ﷺ : « أئتونى به » ، فجاءه ، فتفل ﷺ فى عينيه ودعا له ، فشفاه الله تعالى، فأعطاه النبى ﷺ الراية ، فقال عليّ : يارسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ قال : « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم

---

(١) وقيل أن عليّ هو الذى قتله ، قال الحاكم : « الأخبار كثيرة ومتواترة أن قاتل مرحب هو عليّ » ، لكن أغلب كتب السير تذكر أنه محمد بن مسلمة ، قال الألبانى : والصحيح أنه عليّ لأنه ثابت فى صحيح مسلم .

(٢) أشرأبت : يعنى تطلعت .

ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم »[(١)] .

وخرج عليّ وقاتل قتالاً عنيفاً حتى فتح الله على يديه ، وتوالت الحصون تتهادى ساقطة فى أيدى كتائب الرحمن، حتى تبقى حصنان وهما حصنا الوطيح والسلالم ، فحاصرهم النبى عليه الصلاة والسلام حصاراً شديداً حتى أيقنوا بالهلكة بعثوا يصالحونه على أن يحقن دماءهم ويخرجون من خيبر ولا يجاورون رسول الله ﷺ وعلى أن يتركوا أموالهم فوافق رسول الله ﷺ ، واشترط عليهم ألاَّ يكتموا شيئاً ، فإن فعلوا فلا عهد لهم ، وقد ثبت على بعضهم الغدر فتم قتله ، ثم إنهم طلبوا من النبى ﷺ أن تبقى أرض خيبر الزراعية تحت أيديهم يزرعونها لأنهم أعلم بزراعتها على أن يكون للمسلمين نصف ثمارها فوافق النبى عليه الصلاة والسلام على ذلك بشرط أن يكون هذا الوضع مؤقتاً ، وقال لهم : « على إن شئنا أن نخرجكم أخرجناكم »[(٢)] .

ولما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت إليه امرأة يهودية تدعى « زينب بنت الحارث » وهو زوجة « سلام بن مشكم » ، أهدت إلى رسول الله ﷺ شاة مصلية « يعنى مشوية » وقالت : أى عضو من الشاة أحب إلى

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه البخارى ومسلم .

رسول الله ؟ قالوا : الذراع ، فأكثرت فيه السُّم ، ووضعت السُّم كذلك فى باقى الشاة ، وقدمتها لرسول الله ، فأكل منها رسول الله ، وبشر بن البراء بن معرور ، ولما تناول النبى ﷺ الذراع ليأكل منها لم يستغثها (١) ، وأكل بشر بن البراء منها فأساغها ، أما رسول الله ﷺ فلفظها ثم قال : « إن هذا الذراع ليخبرنى أنه مسموم » ، ثم أمر ﷺ بإحضار تلك المرأة اليهودية ، فاعترفت بذنبها ، وأقرت بوضع السم فى الشاة ، فقال : « ما حملك على ذلك ؟ » قالت : بلغت من قومى مالم يخف عليك ، فقلت : إن كان ملكاً استرحت منه ، وإن كان نبياً فسيُخبر ، وأسلمت تلك المرأة ، فعفا عنها رسول الله ﷺ (٢) ، ومات بشر بن البراء بن معرور من ذاك السم ، وكان من أسلم ممن اليهود كذلك صفية بنت حيى بن أخطب - بنت زعيمهم - فقد كانت ممن أُسرت فى خيبر ، وقد أعتقها رسول الله ﷺ فأسلمت وحسُن إسلامها ، وتزوجها رسول الله ﷺ ، فأصبحت من أمهات المؤمنين .

ومن نتائج تلك الهزيمة المنكرة التى أصابت اليهود فى خيبر ، القضاء على شوكة اليهود فى المدينة ، والاستراحة من كيدهم وتدبيرهم فى خفاء للقضاء على المسلمين ، فجاء من بعدهم يهود

---

(١) لم يستغثها : لم يقبلها .

(٢) الحديث هذا بنصه فى البخارى ومسلم وغيرهما ، وفى إحدى روايات الحديث عند الحاكم أن النبى ﷺ قتل تلك المرأة قصاصاً لبشر بن البراء بن معرور الذى قتل من سمها .

« فدك » يطلبون الأمان ، وأصطلحو على ما اصطلح عليه يهود خيبر ، ثم استسلم يهود « وارى القرى » بعد قتالهم ، ثم يهود « تيماء » ، وهكذا رفرفعت على تلك الأراضى راية الإسلام ، عالية خفاقة بالعدل ، والشوى ، والحرية ، وقضت على فتنة أولئك الماكرين الخبثاء .



الدروس المستفادة :

١ - عند دخول بلد غريب أو جديد ينبغى الإقتداء برسول الله ﷺ فى دعاءه : « اللهم رب السماوات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين ، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها، وشر أهلها ، وشر ما فيها » .

٢ - مجادلة الأعداء بنفس السلاح ، فحينما قال « مرحب » اليهودى شعراً مادحاً نفسه ومخوفاً المسلمين ، قام إليه كعب بن مالك ليرد عليه الشعر بالشعر ، ويبين ذلك أيضاً أهمية الشعر فى المعركة ، وأهمية المعارك الكلامية .

٣ - من بركات النبى ﷺ أيضاً ومن معجزاته التى تتجلى فى كل معركة ، هذه المعجزة حين تَفَلَ فى عين عليّ ، ودعا له فشفاه الله تعالى ، وبرئ من الرمد ، وحين أكل من الشاة فأخبرته أنها مسمومة فلفظها .

٤ - أهمية هداية الناس للإسلام ، ولفعل الخير ، وأن ذلك خير من الدنيا وما فيها .

٥ - أن اليهود لا يجدى معهم غير السلاح ، والقوة ، وهم بغير هذه اللغة لا يفهمون ولا يرتدعون .

أسئلة :

١ – على ماذا اصطلح الرسول ﷺ مع يهود خيبر ؟ .

٢ – ماذا قال النبى عليه الصلاة والسلام لعليّ حين كلفه بفتح الحصن فى خيبر ؟ .

٣ – لماذا وضعت المرأة اليهودية السم فى الشاة التى أهدتها لرسول الله ﷺ ؟ .

٤ – ما اسم الصحابى الذى أكل من الشاة المسمومة ومات ؟ .



[غـــزوة مؤتـــه]

الزمان : فى جمادى الأولى من العام الثامن الهجرى .

المكـان : عند مـؤتة وهى قـرية بأدنى بلقـاء الشـام قـريبـة من بيت المقدس بينها وبينه مرحلتان .

أطراف الغزاة :

بين المسلمين وجيـوش الروم ، جيش المسلمين كـان قـوامة ثلاثة آلاف مقاتل ، وكان قوام جيش الروم مائتى ألف مقاتل ، مائة ألف من الرومان ، ومائة ألف أخرى من نصارى العرب الذين انضموا إليهم .

أسباب الغزوة :

كـان ﷺ قد بعث الرسل والوفود إلى امراء ورؤساء الدول يدعونهم فيهـا إلى الإسلام ، وإلى التوحيد ، وإلى اتباع منهاج السمـاء ، وممن أُرسل من الرسل « جبيل بن عمرو» أرسلـه رسـول الله ﷺ إلى أمـير « بصرى » ليدعوه إلى الإسلام، فما كان من أمير بصرى ذلك الرجل الغادر إلا أن أمر بأن يوثق « جبيل بن عمرو » ويشد وثاقه ثم يقتل ، وهذا فى عرف العرب وفى عرف الدول جريمة نكراء ، لأن الرسل لا

تقتل ، بل يحسن إليهم حتى لو لم يعجب الأمير حديثهم ، فالرسول مبلّغ ليس إلا ، وكان « جبيل » هو الرسول الوحيد من رسل رسول الله ﷺ الذى قُتل عندئذ ، وقد كان مقتل « جبيل » يمثل إهانة شديدة لدولة الإسلام وللمسلمين عموماً ، وعاراً لا يمسحه إلا القصاص .

فتجهز المسلمون للرد على أمير بصرى وإعطاءه درساً لا ينساه ، فى جيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل ، وهو جيش كبير بالنسبة لدولة الإسلام فى هذه الظروف وفى تلك الآونة .

أحداث الغزوة :

تجهز المسلمون فى ذلك الجيش الذى قوامه ثلاثة آلاف مقاتل ، وجلس النبى عليه الصلاة والسلام ينظم الجيش ، ويحدد الأمير ، ولأول مرة يبعث رسول الله ﷺ جيشاً ويحدد أكثر من أمير للجيش ، قال ﷺ : « أمير الجيش (زيد بن حارثة) ، فإن أصيب (فجعفر بن أبى طالب) ، فإن أصيب جعفر (فعبد الله بن رواحة) » .

وهكذا تم تحديد ثلاثة أمراء للجيش ، والأمير الأساس ، واثنان احتياطيان ، وكأن رسول الله ﷺ يشعر بأن الأمراء سيقتلون ، ولم يكن يعلم رسول الله ﷺ قوة جيش الروم بالتحديد ولا الجموع الحاشدة التى سنراها الآن ... انطلق جيش الإسلام على اسم الله ، وأحد جنوده[١] ،

---

(١) هو عبد الله بن رواحة الجندى البطل الشهيد .

يردد عالياً :

لكنى أسأل الرحمن مغفرة   وضربة ذات فرغ[١] تقذف الزبد[٢]

أو طعنةً بيدى حرّان مجهزةً   بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقال إذا مروا على جدثى[٣]   أرشده الله من غازٍ وقد رشدا

انطلق المسلمون فى طريقهم إلى بصرى ، وعند بلد تسمى «معان» من أرض الشام وصلتهم الأخبار أن الروم حينما علموا بقدوم جيش المسلمين أصابهم الرعب لأنهم قد سمعوا بقوة المسلمين ، فتجهزوا بجيوش جرارة تقدر بحوالى مائتى ألف مقاتل ، مائة ألف من الروم ومثلهم من نصارى العرب الموالين لهم .

فوقف المسلمون يتدبرون الأمر ، كيف يواجهون جيشاً قوامه مائتا ألف مقاتل وهم ثلاثة آلاف فقط ، يعنى كل واحد من المسلمين يقاتل سبعين من الروم تقريباً .

إنها حرب غير متكافئة بالمرة ، ولا توجد مقارنة بين الجيشين معقولة أو مقبولة ، وإن دخول حرب بهذه الصورة نوع من المخاطرة ، جلس المسلمون يومين « بمعان » يتدبرون الأمر ويتشاورون ، فمنهم

---

(١) ذات فرغ : يعنى متسعة .
(٢) تقذف الزبد : المقصود ينفجر منها الدم .
(٣) جدثى : يعنى قبرى .

من قال: نبعث إلى رسول الله ﷺ ليرسل لنا مدداً أو يأمرنا بشيء آخر، لكن عبد الله بن رواحة ذلك المجاهد الذى يتمنى الشهادة شجعهم على خوض المعركة بهذه الصورة وبث فيهم روح الحماس، وقال لهم : « يا قوم ، والله إن التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون »[١] ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين ، وإما ظهور وإما شهادة قال الناس : قد والله صدق ابن رواحة .

فمضى المسلمون حتى وصلوا تخوم[٢] البلقاء لقيتهم جموع الروم فانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها « مؤتة » ، والتقى الجمعان ، وانتظم المسلمون فى القتال ، وحمل الراية زيد بن حارثة كما أوصى بذلك رسول الله ﷺ وقاتل قتالاً عنيفاً حتى قتل ، وحامل الراية أو الأمير هدف لسهام العدو قبل غيره ، فأخذ الراية من بعده « جعفر بن أبى طالب » - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فاقتحم فى صفوف العدو وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقترابُها ... طيبةٌ وباردٌ شرابُها

والروم رومٌ قد دنا عذابها ... كافرةٌ بعيدةٌ أنسابها

عليّ إن لاقيتها ضِرابها

---

(١) يقصد أنكم الأن تكرهون لقاء العدو خوف الموت ، وقد خرجتم طلباً للشهادة فى سبيل الله .
(٢) تخوم : يعنى حدود .

ونال جعفر ما تمناه ، وقتل شهيداً فى سبيل الله ، فتناول الراية من بعده عبد الله بن رواحة ، فأصابه بعض التردد ، فأقسم على نفسه بالثبات والقتال ، وقال :

يا نفس إلا تقتلى تموتى هذا حِمام الموت قد صليتِ

وما تمنيت فقد أعطيتِ إن تفعلى فعلهما [١] هديتِ

واقتحم الصفوف وقاتل واستشهد مثل صاحبيه ، والمسلمون يقاتلون ورايتهم تتهاوى ، فالتقطها أحد المسلمين ويدعى « ثابت بن أقرم » وقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم [٢] ، قالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فحمل خالد بن الوليد الراية .

وقاتل بالمسلمين قتالاً شديداً حتى انكسرت فى يده تسعة أسياف [٣] ، من شدة القتال ، وهو يمسك سيفاً بعد أخرى يقاتل الروم ويناوشهم حتى أقبل الليل ، فكان بمثابة فترة للراحة وترتيب الصف ، وفكر خالد بن الوليد كيف يواجه هذه الجموع الحاشدة ، ورأى أن خير وسيلة أن ينجو بالمسلمين فى خطة انسحابية بغير أن يشعر الروم بانسحابهم ، وكان هذا ذكاءً من خالد ، ذلك القائد الحربى المخضرم

---

(١) يقصد فعل صاحبيه زيد وجعفر وهو القتال حتى الشهادة فى سبيل الله .
(٢) وذلك لأن الأمراء الثلاثة الذين حددهم رسول الله ﷺ قتلوا .
(٣) رواه البخارى .

الذى كانت له إسهاماته الكبيرة فى جيوش الكفر قبل إسلامه ، وفعلاً أحكم خالد خطته فغير نظام الجيش ، فجعل الميمنة ميسرة والعكس وغيّر المقدمة ، فجعل الروم يرون وجوهاً غير التى رأوها بالأمس ، فظنوا أن مدداً لحق بالمسلمين ، وجعل المؤخرة تحدث غباراً حتى لا يرى الروم مؤخرة الجيش ولا يقدرون عدد المسلمين أمامهم بالضبط ، وجعل خالد الجيش لا يلتحم مباشرة مع جيش العدو قدر المستطاع ، وإنما يناوشه حتى يلحق به أكبر قدرٍ من الخسائر ، وقد نجحت هذه الخطة ، وكبدت العدو خسائر فادحة ، وانكشفت بعض فرق العدو وفرت لما رأت من بسالة الجندى المسلم وعدم خوفة من القتل والاستشهاد فى المعركة ، واستطاع خالد أن ينسحب بالجيش بأدنى الخسائر الممكة ، هذا ورسول الله ﷺ فى المدينة وقد كشف الله له عن المعركة ، وجاءه الوحى ليخبره بما يحدث هناك ، وأخذ رسول الله ﷺ يخبر المسلمون بما يحدث هناك فى ميدان المعركة فقال : « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب– وعيناه تذرفان – ثم أخذها سيف من سيوف الله [(١)] ، حتى فتح الله عليهم » [(٢)] .

---

(١) يقصد خالد بن الوليد رضي الله عنه .

(٢) رواه البخارى .

ولما رجع المسلمون إلى المدينة وقد كانت أخبارهم تسبقهم ، قابلهم الصبيان يقولون لهم : يا فرار ... يا فرار ... فررتم من المعركة ؟! ، فقال رسول الله ﷺ : « **بل هم الكرار** [1] **إن شاء الله** » .

انظر كيف كان هؤلاء الصبية الصغار وفهمهم للصراع بين الحق والباطل ، وللثبات عند القتال ، انهم يحثون في وجه الجيش التراب لرجوعه فاراً من المعركة - وقد كان فراراً للمصلحة - ولم يكن فراراً بالمعنى المعروف ، لكنها كانت خطة انسحابية من القائد لإلحاق أكبر قدر من الخسائر بالعدو ، والنجاة بمن معه من الجنود لعدم تكافؤ الحرب على الإطلاق ، وقد مدح رسول الله ﷺ هذا الفعل بقوله حين حمل خالد الراية : « ثم أخذها سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم » فجعلها فتحاً .

---

(١) الكرار : يعنى المهاجمين المقاتلين .

الدروس المستفادة :

١ - اعتبار إهدار دم المسلم من قبل أى كيان آخر إعتداءً مباشراً على الدولة الإسلامية ، يستحق مقاتلة المعتدى ، حتى لا يستهين أحد بدماء المسلمين ، فيقتَلون ويشردون كما يحدث هذه الأيام فى بقاع كثيرة من الأرض لغياب مَن يروع العدو المعتدى من الدول ويدافع عن المسلمين .

٢ - بسالة الجنود المسلمين ، واستهانتهم بالموت فى سبيل الدين ، وشجاعتهم فى مواجهة جيش يربو على ستين ضعفاً لجيشهم ، وهذا إن دل على شىء أكثر من ذلك فإنما يدل على ارتفاع الروح المعنوية للجنود ، وإقبالهم على الموت بلا خوف ، ولا رهبة ، مما بث الرعب فى قلوب الأعداء برغم الفرق الهائل بين الطرفين فى العدد والعُدة والعتاد .

٣ - تقديم الأصلح للقيادة ، وعدم الإستئثار بها عند عدم المقدرة عليها أو عند وجود الأصلح لها ، ويظهر ذلك جلياً فى موقف ثابت ابن أقرم الذى أخذ الراية بعد ابن رواحة حتى لا تسقط وحتى ينقذ الموقف فى تلك اللحظة ، لكنه رفض قيادة الجيش وقال للمسلمين : اصطلحوا على رجل منكم وكان أن

اصطلحوا على خالد بن الوليد لأنه يمثل الكفاءة القيادية فى تلك اللحظات الساخنة ، وقد كان عند حسن ظنهم .

٤ - تتجلى معجزة الرسول ﷺ فى هذه الغزوة فى إخبار المسلمين بالمدينة بما حدث للجيش فى مؤته بالشام ، رغم المسافات الشاسعة بينهم وبين الجيش ، لكنها المعجزات والكرامات التى تتوالى ، وهناك من لا يعقلون ، ولا يؤمنون .

٥ - انفعال الصبيان فى المدينة بالموقف القتالى بين الإسلام والكفر ، ومتابعتهم للأحداث الجسيمة التى تحدث للمسلمين ، ورد فعلهم المباشر والتلقائى لما يحدث .



أسئلة :

١ - أذكر أسباب غزوة مؤتة .

٢ - حدد النبى عليه الصلاة والسلام لهذه الغزوة منذ بدايتها ثلاثة أمراء إذا أصيب أحدهم تولى الآخر القيادة ، فمن هم هؤلاء الثلاثة ؟ وعلى أى شيء يدل هذا الموقف ؟ .

٣ - كم كان عدد المسلمين فى هذه الغزوة ، وكم كان عدد الروم ؟ .

٤ - حمل الراية بعد مقتل عبد الله بن رواحة رجل من المسلمين ، من هو ؟ ، وماذا قال ؟ .

٥ - « ...ثم حمل الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم » ، من قائل هذه العبارة ؟ ؛ ومن هو هذا السيف المشار إليه؟ .

٦ - ما الخطة التى سار عليها خالد بن الوليد فى المعركة ؟ ولماذا ؟ .

٧ - ماذا قال الصبية للجيش فى المدينة عند مقابلتهم له عائداً من الغزوة ؟ ، وبم رد عليهم رسول الله ﷺ ؟ .

٨ - ما نتائج غزوة مؤتة كما تفهم من الغزوة ؟ .



[غزوة فتح مكة]

الزمان : فى شهر رمضان من العام الثامن للهجرة .

المكان : مكة البلد الحرام .

أسباب الغزوة :

هجوم قريش وحلفاءهم بنى بكر على قبيلة خُزاعة التى هى فى عهد مع رسول الله ﷺ ، وبذلك تكون قريش قد نقضت العهد الذى بينها وبين المسلمين « صلح الحديبية » ، والذى كان من شروطه وقف القتال بين الطرفين لمدة عشر سنوات ، وكانت خزاعة قد دخلت فى عهد النبى ﷺ ، وبنو بكر قد دخلت فى عهد قريش ، فأصبح أى اعتداء على خُزاعة اعتداء على المسلمين ، وأى اعتداء على بنى بكر اعتداء على المشركين ، وقد احترم المسلمون كعادتهم عهوذهم ومواثيقهم ، فلم يحدث أى اعتداء من المسلمين على المشركين ولا على أحد حلفاءهم .

أحداث الغزوة :

هجمت قريش وبنو بكر على قبيلة خزاعة فقاتلوهم وأصابوا منهم رجالاً ، فانحازت خزاعة إلى الحرام الشريف لهول مفاجأة الحرب ، فتبعهم بنو بكر يقاتلوهم ومعهم المشركون من قريش يمدونهم بالمال

والسلاح فقاتلوا جزاعة فى الحرم ونهبوا أموالهم ، وأصابوا رجالهم ، فبعثت خزاعة رجلهم « عمرو بن سالم » تستغيث برسول الله ﷺ لينصرهم للعهد الذى بينهم وبينه ، فقدم « عمرو بن سالم » على رسول الله ﷺ فى المدينة ليخبره الخبر ، وقد وجده جالساً فى المسجد بين أصحابه ، فأنشد هذه الأبيات من الشعر مستغيثاً بالمسلمين ، طالباً النجدة منهم فقال :

يارب إنى ناشد محمداً حلف أبينا وأبيه الأتلدا

قد كنتم ولداً وكنا والداً ثمت أسلمنا فلم تنزع يدا

فانصر هداك الله نصراً أعتدا وادع عباد الله يأتوا مددا

فيهم رسول الله قد تجردا أبيض مثل البدر يسمو صعدا

إن قريشاً أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا

وجعلوا لى فى كداء رصدا وزعموا أن لست أدعو أحدا

وهم أذل وأقل عددا هم بيّتونا بالوتير هجدا

فأمر النبى ﷺ الناس أن يتجهزوا لدخول مكة ، وأمرهم بالجد والإسراع فى الأمر حتى لا تأخذ قريش استعدادها ، وقبل أن تصلهم أخبار المسلمين ، وبعد الإنتهاء مع قتال خزاعة مباشرة أحست قريش بفعلتها الفادحة ، وبأنها بذلك قد نقضت العهد مع رسول الله ﷺ ، فندمت على ذلك وبعثت زعميها أبا سفيان بن حرب إلى المدينة

محاولاً إصلاح ما فسد ، ومعالجة الأمر ، وليعيد الصلح كما كان ... ولكن هيهات ... وأنى لقريش العهد وقد خانوا العهد ! .

وعندما دخل أبو سفيان المدينة دخل على ابنته أم حبيبة أم المؤمنين زوجة الرسول ﷺ ، وأراد أن يجلس فطوت الفراش من تحته ولم تدعه يجلس عليه ، فقال : يا بُنية أرغبت به عنى أم رغبت بى عنه ؟! ، فقالت : إنه فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك ، ولا ينبغى لك الجلوس عليه ، فنظر إليها وقال : لقد أصابك بعدى شر ... ثم خرج فلقى أبا بكر الصديق فقال له : يا أبا بكر اشفع لى عند رسول الله ، فتركه أبو بكر ولم يكلمه ، فلقى عمر فقال له مثلما قال لأبى بكر فرد عليه عمر قائلاً : أنا أشفع لك عند رسول الله ! والله لو لم أجد إلا الذر لقاتلتكم به ، فتركه فكلم علياً فقال : يا أبا سفيان إن رسول الله ﷺ قد عزم على أمر لا أستطيع أن أكلمه فيه فعد إلى مكة .

فقفل أبو سفيان عائداً إلى قومة وقد فشل فى مهمته ، ولا يعلم أبو سفيان ماذا ينوى فعله رسول الله ﷺ والمسلمون ، ولكن أحد المسلمين ويدعى « حاطب بن أبى بلتعه » وهو مجاهد وممن شهد غزوة بدر ، بعث بكتاب إلى قريش يخبرهم فيه أن رسول الله ﷺ قادم إلى مكة ليغزوهم ليستعدوا للقاءه ، فجاء الوحى إلى رسول الله ﷺ يخبره بما حدث ، ونترك عليّ بن أبى طالب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يحكى لنا هذا الموقف ،

يقول عليّ - رضي الله عنه - [1] :

« بعثنى رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة « خاخ »[2] ، فإذا بها ظعينة[3] ، معها كتاب ، فخذوه منها ، فانطلقنا تعادى خيلنا حتى أتينا الروضة ، فإذا نحن بالظعينة ، فقلنا : أخرجى الكتاب ، فقالت: ما معى ، فقلنا : لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب ، فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه « من حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم بأمر رسول الله ﷺ » ، فقال : يا حاطب ما هذا ؟ ، فقال : يارسول الله لا تعجل علي إنى كنت امرأ ملصقاً فى قريش - يعنى حليفاً لهم ولم أكن من قريش نفسها - وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم ، فأحببت إن فاتنى ذلك أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتى ، وألم أفعله ارتداداً عن دينى ، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ: **« أما إنه صدقكم ! »**، فقال عمر : يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ : **« إنه شهد بدراً ، وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدراً فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »** .

---

(١) الحديث رواه البخارى ومسلم .

(٢) مكان بين مكة والمدينة .

(٣) ظعينة : يعنى امرأة ، والمقصود بالكتاب هنا « الرسالة » .

ونزل قوله الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) ﴾ [1] .

لقد أخطأ حاطب خطئاً جسمياً ، ولولا معرفة النبى ﷺ صدقه وإيمانه وأعماله الجليلة فى الجهاد خصوصاً يوم بدر وأنها قد شفعت له ، وأن الله تعالى قد أخبر عن صدق أهل بدر ... لولا هذه الأمور كلها لحدث فى الأمر اختلاف كثير .

وعاد أبو سفيان إلى مكة يجر زيول الخيبة والفشل ، وعميت قريش عن أخبار المسلمين ، ولم يصلهم عنها شيء ، مضى رسول الله ﷺ وصحابته جميعاً المهاجرون والأنصار وكان عددهم عشرة آلاف مقاتل ، مضوا فى طريقهم إلى مكة ، وكان ذلك فى العاشر من رمضان ، وكان الرسول ﷺ صائماً وكذا الصحابة ، حتى إذا وصلوا الكديد بين عسفان وأمج ، أفطر وأفطر المسلمون ، ثم مضوا حتى وصلت الظهران ، وقبل أن يصلوا إلى الظهران كان قد وصل إلى

---

(١) سورة الممتحنة الآية « ١ » .

جيش المسلمين العباس بن عبد المطلب مسلماً هو وعياله ، وكذلك أبو سفيان بن الحارث وهو ابن عم رسول الله ﷺ وعبد الله بن أميه وهو ابن عمته ﷺ وكان من أشد الناس إيذاءً له بمكة ، لكنه عليه السلام عفا عنهم ، وقال : ﴿ **لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ [1] ، ففرح أبو سفيان بن الحارث وأنشد يقول :

لعمرك إنى حين أحمل راية ... لتغلب خيلُ اللات خيلَ محمدِ
لكاً لمدلج الحيران أظلم ليله ... فهذا أوانى حين أهدى فأهتدى
هدانى هاد غير نفسى ودلنى ... على الله من طردته لكل مطردِ

فضرب رسول الله ﷺ صدره وهو يقول له « أنت طردتنى كل مطرد » ، ولما وصل رسول الله ﷺ الظهران وعسكر بها ليستريح وأوقد المسلمون النار ، وكانت نيراناً عظيمة ، كان فى تلك الليلة قد خرج وفد من قريش يتحسسون الأخبار ، وهم أبو سفيان بن حرب وحكيم ابن حزام ، وبديل بن ورقاء ، فلما اقتربوا من الوادى هالهم ما رأوا ... فقال أبوسفيان : ما رأيت بهذا الوادى من قبل نيراناً قط ولا عسكراً كهذا .

---

(١) سورة يوسف الآية « ٩٢ » .

فرد عليه بديل بن ورقاء قائلاً : هذه والله خزاعة حمستها الحرب ، فأجابه أبو سفيان : خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ، وكان النبى ﷺ قد بعث العيون لتستطلع الأخبار ، فضبطوا هؤلاء المشركين فأخذوهم إلى رسول الله ﷺ ، ولما دخلوا على رسول الله ﷺ وحدثهم شرح الله صدورهم للإسلام فأسلموا ، وقد تأخر أبو سفيان فى إسلامه عنهم ، فأسلم فى الصباح من اليوم التالى .

وقد سأله هؤلاء الأمان لقريش ، وكان ﷺ يعرف أن أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فقال عليه الصلاة والسلام : « **من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن** »[١] .

لقد أراد النبى ﷺ أن يحدث الفتح الأعظم بدون قتال أو إراقة دماء من قريش ، وعسى الله أن يهديهم للإسلام ، كان هذا ما يرجوه ﷺ ، لذلك أعطاهم الأمان كما جاء فى الحديث السابق ، وتتمة لهذا الهدف أوصى رسول الله ﷺ عمه العباس بن عبد المطلب باحتجاز أبى سفيان فى مضيق الوادى حتى يرى حشود المسلمين القتالية وهى تمر فيدرك أن المسلمين أصبحوا اليوم قوة لا يُستهان بها حتى إذا قدم مكة

---

(١) حديث صحيح : رواه ابن هشام وهو فى صحيح مسلم بإختلاف فى اللفظ .

أخافهم من قوة المسلمين وأيقنوا أن لا قِبل لهم بها ، ووقف العباس وأبو سفيان فى مضيق الوادى وحشود المسلمين تمر كل يحمل رايته ، حتى إذا مرت الجشود سأل أبو سفيان العباس : من هؤلاء ؟ ، قال العباس : هؤلاء قبائل سليم ، قال أبو سفيان : ما لى ولسليم ! ، ثم مرت حشود أخرى فسأل أبو سفيان عنها فأجابه العباس : إنها مزينة ، فقال أبو سفيان : ما لى ولمزينة ؟ ، وهكذا أخذت تمر القبائل واحدة تلو أخرى ، وأبو سفيان تصيبه الدهشة من قوتهم ... حتى ظهرت دهشته بقوة فى قوله للعباس : ما لأحد بهؤلاء من قِبل ولا طاقة ! ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً ، فرد عليه العباس قائلاً : يا أبا سفيان ، إنها النبوة ، قال أبو سفيان : فنعم إذن .

لقد أسلم أبو سفيان منذ قليل لكنه لم يزل يقيس الأمور بمقاييس الجاهلية ، حتى رده العباس إلى المعنى الصحيح ، فليس هذا مُلكاً وليس النبى عليه الصلاة والسلام مَلكاً ، ولكنها النبوة ، والنصر الذى هو من عند الله .

ويدخل أبو سفيان مكة قبل الجيش الإسلامى بقليل ، وأهل مكة يشعرون بدبيب الجيش ، وبجحافل الفتح مقبلة ، ويتشاورون فى الأمر ، فإذا بزعيمهم السابق أبى سفيان بن حرب ينادى : يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم بما لا قِبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان

فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن... فأيقنوا أنه قد أسلم واتبع دين محمد ﷺ فانتفضت زوجته هند بنت عتبة وأخذت بشاربه وقالت : اقتلوا هذا الحميث الدسم الأحمس (١) ، قُبحت من طليعة قوم .

فلم يلتفت إليها أبو سفيان ، وعاد يحذر قريشاً قائلاً : ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم ، لقد جاءكم محمد بما لا قِبل لكم به .

وأيقن الناس بالحقيقة التى لا مراء فيها ، وأن نور الله قد طغى على ظلمات الشرك والوثنية ، وأن قوة المسلمين أصبحت لا يُستهان بها ، وأنه لا داعى لقتال تخلى عنه الزعماء ، ودعت إليه النساء ... .

فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم وتفرقوا فى المسجد الحرام ، ووقف هؤلاء وأولئك من خلف الأبواب يترقبون هذا المد الإسلام الزاحف ، والسيل العرم الذى أوشك أن يطأ أرض مكة البلد الحرام ، والراية الإسلامية فى يد سعد بن عبادة زعيم الأوس وقد اقترب من مكة ، وتذكر ما فعلته قريش برسولها ، وما أذاقوه للمسلمين من ألوان التعذيب والقهر ، فصاح : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحُرمة ، اليوم أذل الله قريشاً ، فسمع المسلمون قولته وبلغت رسول الله ﷺ الذى لم يرد سوى حقن الدماء ابتغاء الخير لقريش لعل الله أن يشرح

---

(١) تقصد هذا السمين الكثير اللحم ، والحميث هو زق السمن .

قلوبهم لهذا الدين ، فقال عليه الصلاة والسلام : « بل اليوم يوم تعظم فيه الكعبة ، اليوم يوم أعز الله فيه قريشاً » ، خذوا الراية من سعد وأعطوها لابنه .

ودخل الجيش الإسلامى مكة من نواحى مختلفة ، وأمر رسول الله ﷺ قادة الجيوش والفرق الإسلامية أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، ولم تتعرض فرقة منهم للقتال إلا تلك الفرقة التى يقودها سيف الله خالد بن الوليد والتى دخلت من أسفل مكة ، وذلك لتجمع بعض قادة قريش لحربهم بقيادة عكرمة بن أبى جهل ، وسُهيل بن عمرو ، صفوان بن أمية ، إلا أن سيف الله خالد لم يدع المعنى الحقيقى للمعركة يتحقق من كرّ وفرّ ، فقد حصدهم حصداً ففروا هاربين ، وانتهت قوة الكفر فى قريش ، ودخل رسول الله ﷺ مكة بعد أن أخرجه أهلها منها وهى أحب بلاد الله إلى الله وإلى قلب رسول الله ﷺ ، ها هو الآن يدخلها منتصراً فى قوة وعزة ومنعة .

لكن هذه القوة ، ونشوة النصر لم تكن لتؤثر فى تواضع رسول الله ﷺ ، ولم يكن ليدخل مكة زهواً منتفشاً ... كلا .

لقد دخل مكة فى قمة التواضع لله تعالى ، وهو يطأطئ رأسه على ناقته مسبحاً يحمد الله تعالى ومستغفراً له كما أمره ، هكذا ليعطى درساً لكل فاتح ولكل قائد منتصر ، أن النصر من عند الله ، ولا ينبغى

التفاخر والتعالى والتكبر ، والإشادة بالقدرات والإمكانات الهائلة ، فلولا فضل الله ورحمته ما كان نصراً ، وما كان عزاً ، ثم دخل رسول الله ﷺ البيت الحرام فطاف به وأخذ يكسر الأصنام المحيطة به وهو يقول :

﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١) ﴾[1] ، ثم أمر بفتح الكعبة ففتحت وكانت تملؤهها الصور ، فأمر بمحو جميع هذه الصور ، وبذلك طهرّ البيت الحرام من الأوثان والصور التى اتخذها المشركون وما أنزل الله بها من سلطان ، وعفا عن أهل مكة جميعاً ، وقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ، ثم صعد بلال الكعبة ليرفع نداء الحق بالأذان الذى طالما انتظرته الكعبة المشرفة حتى يمحو عنها عار الشرك والوثنية .

ودخل أهل مكة فى دين الله أفواجاً ، فقد علم الكثيرون منهم أن هذا الدين هو الحق من عند الله ، وأن محمد ﷺ هو خاتم النبيين ، وأن الغرور أو الجهل أو الكبر لن يغنى عنهم من الله شيئاً ، وأولى لهم أن يستنيروا بنور الله الذى ظهر وانجلى وأضاء ربوع مكة والمدينة ، وأن لا يحاولوا أن يقفوا فى وجه الشمس إذا أشرقت ، وأن ينتفعوا بنورها بدلاً من أن يحترقوا بنارها .

---

(١) سورة الإسراء الآية « ٨١ » .

ووقف رسول الله ﷺ خطيباً فى الناس فكان مما قال :[1]

« إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ، ولا يعضد بها شجرة ، وإنْ أحدٌ ترَّخص لقتال رسول الله فيها ، فقولوا له : إن الله أذن لرسول الله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن له فيه ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، وليبلغ الشاهد الغائب » .

◈-◈-◈

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

الدروس المستفادة :

١ – عدم التهاون فى أمر نقض العهد من قبل العدو ، والأخذ على يد المعتدى بكل قوة حتى لا تسوِّل له نفسه بالخيانة مرة ثانية .

٢ – عدم مداهنة أهل الكفر على حساب الإسلام والمسلمين ، ويظهر ذلك من تشدد أبى بكر وعمر وعليّ رضى الله عنهم مع أبى سفيان ، وغلظتهم له القول ، حين جاء يستجدى عفو الرسول ﷺ عنهم لخيانتهم العهد ونقض شروط الصلح .

٣ – إفشاء أسرار المسلمين خيانة عظمى تستحق القتل ، وعفو النبى ﷺ عن حاطب استثناء وليس قاعدة ، وذلك لمكانة « حاطب » فى الإسلام ، ولأنه كان ممن شهد بدراً ، ولعلم الرسول ﷺ بصدقه وإخلاصه .

٤ – قياس الرجل بأعماله كلها ، وعدم إهدار شخصيته لخطأ يفعله وكل إنسان له حسنات وسيئات .

٥ – معرفة طبائع الناس ، والتعامل معهم على هذا الأساس ، ويظهر ذلك فى تعامل الرسول ﷺ مع أبى سفيان كما سبق بيانه .

٦ – التواضع عند النصر ، وإرجاع الفضل كله لله ، فالنصر من عند الله ، واستغفار الله تعالى والتسبيح بحمده فى تلك اللحظات .

٧ - تسامح النبى ﷺ مع من ظلمه ، ويدل على رفعة وعلو وسمو خلقه ﷺ ورحمته .

٨ - إن الله تعالى حرَّم مكة ولا يحل لا مرئ مسلم أن يسفك بها دماً أو يقطع بها شجراً ... وأن هذا حكم الله تعالى إلى يوم القيامة .



أسئلة :

١ - أذكر أسباب تجهز المسلمين لفتح مكة .

٢ - كم كان عدد المسلمين الذين خرجوا مع الرسول ﷺ لفتح مكة.

٣ - حاول أبو سفيان إصلاح ما أفسدته قريش بخيانة العهد ، ونقض الصلح ، فهل نجح فى مهمته ؟ .

٤ - لماذا عفا رسول الله ﷺ عن حاطب بن أبى بلتعة ؟ .

٥ - كان أبو سفيان رجلاً يحب الفخر ، وأسلم قبيل الفتح ، فبم أرضى رسول الله ﷺ هذه الرغبة عند أبى سفيان ؟ .

٦ - لم يحدث قتال بين جيوش المسلمين الفاتحة وقريش إلا فى موضع واحد أين يقع ، ومع من حدث ، وما النتيجة ؟ .

٧ - دخل النبى ﷺ مكة مطأطأ رأسه على راحلته تواضعاً لله تعالى ، على أى شيء يدل ذلك الموقف ؟ .

٨ - ما الوصية التى أوصى بها الرسول ﷺ الناس فى خطبته يوم الفتح الأعظم .

٩ - أذكر نتائج فتح مكة .



[غزوة حنين]

الزمان : الثلاثاء يوم العاشر من شوال العام الثامن الهجرى .

المكان : وادى حنين ، وهو وادى إلى جوار ذى المجاز بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً من جهة عرفات .

أطراف الغزوة :

كانت بين المسلمين وعددهم اثنا عشر ألفاً وبين بطون بعض القبائل العربية حول مكة « هوازن ، ثقيف ، وغيرهم » .

أسباب الغزوة : بعد أن فتح الله على رسوله وعلى المؤمنين مكة البلد الحرام ، وتحطمت الوثنية فى الحرم الشريف ، خافت بعض قبائل العرب المحيطة بمكة بأس المسلمين ، فاجتمعوا وتشاوروا لمباغتة المسلمين فى المدينة وقتالهم وهم فى نشوة انتصارهم ، فعلم المسلمون بهذا الهجوم القريب فخرجوا لملاقاتهم .

أحداث الغزوة :

اجتمعت بعض القبائل من الأعراض المحيطين بمكة تقودهم «هوازن » و « ثقيف » وهم من أكبر القبائل فى الجزيرة العربية ، يقود كل هذه ولجيوش مالك بن عوف سيد هوازن ، فأمر مالك قومه أن يأخذوا نساءهم وأوالهم معهم عند القتال حتى لا يفروا دونهم ، لكن

دريد بن الصمة وهو فارس مشهور بالحكمة والشجاعة اعتراض على قرار مالك بن عوف هذا وقال له : وهل يرد المنهزم شيء ؟! إن كانت الدائرة لك لم ينفعك إلا رجل برمحه وسيفه ، وإن كانت عليك كانت فضيحة في مالك وأهلك .

لكن ابن عوف لم يعط لكلامه وزناً ، ومضى في رأيه ، وعلم رسول الله ﷺ بمخرج تلك القبائل لحربه فأرسل العيون لتستطلع الأخبار ، فجاءته العيون تقول : « إن هوازن عن بكرة أبيها خرجت بكل ما عندها فاجتمعت في حنين ، فتبسم رسول الله ﷺ قائلاً : « **تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله** »[(١)] .

وخرج المسلمون في قوة وعدد لم يخرجوا في مثله من قبل ، فكان عدد المسلمين حينئذ الذين خرجوا للقتال اثنا عشر ألفاً ، حتى قال بعضهم « لن نهزم اليوم من قلة » ، لقد غرَّ المسلمين قوتهم وعددهم، وكان منهم كثيرون ممن أسلموا بعد الفتح ممن يسمون « الطلقاء » لم يدخل الإيمان قلوبهم بحق ، ووصل الجيش الإسلامي إلى وادي حنين ، لكن جمع هوازن وثقيف كانوا قد سبقوه إلى هناك واحتلوا المضايق والشعاب والأودية واستعدوا لاستقبال المسلمين ، وتدافع المسلمون نحو الوادي وهم لا يدرون بمن يكمن فيه من تلك القبائل ،

---

(١) حديث صحيح : رواه أحمد .

وكان هذا الوادى منحدراً ، وكان كثرة العدد بالنسبة للمسلمين عاملاً من عوامل الفشل فى بداية المعركة حيث تدافع المسلمون نحو الوادى بكثرة وإذا بهم يشعرون بوابل من السهام المتطايرة نحوهم من كل حدب وصوب من تلك المضايق والشعاب التى اختبأت فيها جموع المشركين ، وكان الوقت بعد الفجر ولم تتضح الرؤية بعد ، فأصاب جموع المسلمين الفزع من هول المفاجأة ، فتزعزت الصفوف ، وتبعثرت الجموع ، واندفعت جموع المشركين نحوهم ، فتقهقر المسلمون ، وفر أكثرهم ، حتى قال بعض الذين أسلموا حديثاً أقوالاً غير مقبولة ، ولا يخفى أن هؤلاء هم من قاد الفرار فى الجيش .

لكن رسول الله ﷺ وقف يثبت الناس ، ويدعوهم للإقبال ويقول : «**إليَّ أيها الناس؟! ، هلموا إليَّ ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله**»، وكان قد أحاط به أهل بيته وعدد من المهاجرين ، وأمر العباس بن عبد المطلب - وكان رجلاً جهير الصوت - أن ينادى : يا معشر الأنصار، يا أصحاب البيعة يوم الحديبية .

ووصلت صيحات العباس - رضي الله عنه - تلك الجموع فعاد الأنصار والمؤمنون المخلصون ، وفر ضعاف الإيمان وحديثوا الإسلام ، وما إن اجتمع حول النبى ﷺ حوالى مائة من صحابته حتى التحموا مع المشركين التحاماً مباشراً ، والنبى ﷺ على بغلته يبث الحماس فى

تفوسهم بقوله: « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب »[(١)] .

ويدعو ربه : « اللهم أنزل نصرك » ، ويقول : الآن حمى الوطيس ، ثم يأخذ حصيات فيرمي بهن في وجوه الكفار وهو يقول : « انهزموا ورب محمد » .

يقول العباس : « فذهبت أنظر ، فإذا القتال على هيئته فيما أرى ، فما هو إلا أن رماهم - يعني بالحصى - فما زلت أجد حدهم كليلاً[(٢)] وأمرهم مدبراً »[(٣)] .

وهجم عليّ بن أبي طالب على حامل راية هوازن فضربه ضربه سقط منها على التو أرضاً ثم أجهز عليه أحد الأنصار .

وهكذا استمكن المسلمون من جموع الشرك فهزموهم بإذن الله ، وفرت تلك الجموع المتهزمة تاركة وراءها مغانم كثيرة لم يشهد مثلها المسلمون من قبل[(٤)] ، ولجأ بعض المنهزمين إلى مكان يسمى « أوطاس » فأرسل النبي عليه الصلاة والسلام في أعقابهم فرقة من المسلمين بقيادة أبي عامر الأشعري ، فقاتلهم حتى قُتل ، فأخذ الراية

---

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) يعني ضعيفاً .
(٣) رواه مسلم .
(٤) بلغت الغنائم في هذه الغزوة « ٢٤ ألفاً من الإبل » وأربعين ألفاً من الغنم ، وأربعة آلاف أوقية من الفضة ، ستة آلاف من السبي .

من بعده ابن عمه أبى موسى الأشعرى فقاتلهم حتى شتت شملهم وفرق جمعهم .

ونزل فى هذه الغزوة قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦) ﴾[(١)] .

ومما حدث فى هذه الغزوة أن امرأة من الأنصار كانت ممن ثبت مع المسلمين وهى أم سليم بنت ملحان مع زوجها أبى طلحة الأنصارى ، فالتفت إليها رسول الله ﷺ وهو يقول[(٢)] : أم سليم ؟! قالت : نعم بأبى أنت وأمى يارسول الله ، أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك ،كما تقتل الذين يقاتلونك! فقال ﷺ : « إن الله قد كفى وأحسن يا أم سليم » ، وكان معها خنجر فقال لها زوجها أبو طلحة : ما هذا الخنجر الذى معك يا أم سليم ؟ قالت : خنجر أخذته إن دنا منى أحد من المشركين بقرت بطنه ، فقال أبو طلحة : ألا تسمع يارسول الله ما تقول ؟! ، فضحك رسول الله ﷺ ، وقد كانت أم سليم حينئذ حاملاً

---

(١) سورة التوبة الآيات « ٢٥ ، ٢٦ » .
(٢) رواه ابن إسحاق وابن سعد وهو عند أحمد فى المسند ، وهو صحيح على شرط مسلم .

بعبد الله بن أبى طلحة .

وبعد هزيمة تلك الجموع المشركة وفراراهم لجأ زعيمهم إلى الطائف هو وقومه وتحصنوا بها ، وكان على المسلمين فى المرحلة القادمة أن يلحقوا بهذا الرجل « مالك بن عوف » الذى تحصن بالطائف بعد أن فرَّ هارباً ، وذلك لأنه يمثل بؤرة الشرك التى جمعت القبائل لحرب المسلمين وقتالهم .



الدروس المستفادة :

١ - ضرورة دراسة ومعرفة المكان الذى ستتم فيه المعركة ، ومعرفة طبيعته ، وضرورة بعث العيون والأخبار لمعرفة الخبر قبل أى معركة قتالية ، وهذا يؤكد أهمية فِرق الإستطلاع فى المعركة .

٢ - ليس كل من أسلم بلسانه قد أسلم قلبه ، والذين كانوا سبباً فى الفرار فى بداية المعركة هم من رعاع القوم الذين أسلموا حديثاً ولم يتمكن الإيمان فى قلوبهم ، فروا وتسببوا فى زعزعة الصفوف وتشتيت الجيش .

٣ - شجاعة النبى ﷺ النادرة ، وثباته الراسخ ، وثقته الأكيدة فى نصر الله تعالى .

٤ - أهمية إلهاب مشاعر الحماسة والشجاعة والإقدام فى صفوف المجاهدين ، ويظهر ذلك فى قوله الرسول ﷺ : « أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » ، ومناداه الأنصار وتذكيرهم ببيعة الشجرة .

٥ - خروج المرأة للقتال وثباتها للدفاع عن الإسلام فى حين فرَّ الرجال ، ويتضح هذا من موقف أم سليم الذى سبق .

٦ - عدمِ الإغترار بالقوة أو بالعدد ، فالمسلمون لا ينتصرون بكثرة عَددهم وعددهم وإنما ينتصرونِ بالإيمان الراسخ فى قلوبهم ، والثقة

فى نصر الله تعالى ، والتوكل على الله عز وجل ، مع الأخذ بما يستطيعون من قوة طبعاً ، لكن قوة الإيمان هى الأساس الذى ينبنى عليه القتال وليس كثرة العدد أو العتاد ، ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) ﴾[١]

◇-◇-◇

(١) سورة البقرة الآية « ٢٤٩ » .

أسئلة :

١ – ماذا قال المسلمون حين رأوا أنهم أصبحوا قوة لا يُستهان بها وقد بلغ عددهم اثنا عشر ألف مقاتل ؟! .

٢ – كان لمالك بن عوف رأى فى أخذ الأموال والنساء والأولاد معهم فى حربهم ضد المسلمين ، وكان لدريد بن الصمة رأى آخر ، فأى الرأيين أخذ به ؟ ، وأيهما كان أصوب من وجهة نظرك ؟ وما نتيجة ماتم .

٣ – ما سبب هزيمة المسلمين فى أول معركة ، ثم انتصارهم فى النهاية .

٤ – مَنْ الذى ثبت مع النبى ﷺ عند فرار الجميع وتشتت الصفوف ؟ .

٥ – لماذا أمر النبى ﷺ بالذات أن ينادى على أصحاب البيعة « بيعة الشجرة » ، وماذا كانت نتيجة ذلك ؟ .

٦ – من الذى قتل حامل الراية لجموع هوازن ؟ .

٧ – ما نتائج غزوة حنين ؟ ، وكم عدد الغنائم التى حصل عليها المسلمون بعد فرار المشركين ؟! .

[حصار الطائف]

الزمان : فى شوال من العام الثامن الهجرى ويعد امتداداً لحنين.

المكان : فى الطائف قريباً من مكة .

الحدث: لما فرت فلول هوازن وثقيف من حنين تجر ذيول الهزيمة لجأت إلى الطائف وتحصنت بها، وأغلقوا عليهم أبوابها، وتجهزوا للقتال ، وكان فيهم مالك بن عوف قائدهم ، فما كان من الرسول ﷺ ومن معه من المسلمين إلا أن يلحقوا بهم ليكفوا شرهم عن المسلمين ، وليردوا على تآلبهم على المسلمين بمكة ، وحشد القبائل لحربهم ، خرج رسول الله ﷺ والمسلمون نحو الطائف وكعب بن مالك يردد :

قضينا من تهامة كل ريب ... وخيبر ثم أجمعنا السيوفا
فخيِّرها ولو نطقت لقالت ... قواطعهن دَوساً أو ثقيفا
فلست لحاصنٍ إن لم تروها ... بساحة داركم منا ألوفا
وننتزع العروس ببطن وجٍ[(١)] ... وتصبح داركم منا خلوفا[(٢)]

---

(١) مكان بالطائف .
(٢) خالية من أهلها .

وحاصر المسلمون الطائف حصاراً شديداً بضعاً وعشرين ليلة ، تراشق فيها الفريقان بالنبل فى بداية الحصار وأصيب عدد من المسلمين يقدر ببضعة رجال ، أو ببضعة عشر رجلاً .

لكن الرسول ﷺ فى حصاره لثقيف لم يشأ أن يقتحم عليهم حصونهم كما فعل ذلك مع اليهود من قبل ، فقد كان يرجو أن يسلم القوم ، وهذا ما حدث فعلاً فيما بعد ، ثم إنه لم يكن أهل الطائف مثل اليهود وحين استعصت على المسلمين حصون الطائف ، وكان رسول الله ﷺ قد رأى رؤيا أوّلها على أن لن يفتح تلك الحصون ذلك اليوم ، فقال لأبى بكر - رضي الله عنه -: يا أبا بكر إنى رأيت أنى أهديت لى قبعة [(١)] ، مملوءة زبداً فنقرها ديك فهراق [(٢)] ، ما فيها ، فقال : ما أظن أن تدرك منهم « يعنى من أهل الطائف وحصارهم » ما تريد ، قال ﷺ : « وأنا لا أرى ذلك » .

وجاءت خولة بنت حكيم تقول : يا رسول الله إن فتح الله عليك الطائف أعطنى حُلىّ « بادية بنت غيلان » أو حُلىّ « الفارغة بنت عقيل » ، وكانتا من أحلى نساء ثقيف [(٣)] ، فقال رسول الله ﷺ : وإن كان لم يؤذن لى من ثقيف يا خولة ؟! فخرجت فذكرت ذلك

---

(١) قبعة : إناءً .
(٢) فهراق : انسكب .
(٣) المقصود من أكثرهن حُلياً .

لعمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ، فدخل عمر على رسول الله ﷺ فقال : ماحدثتنيه خويلة زعمت أنك قلته ؟ قال : نعم قد قلته ، قال عمر : أوما أُذن لك فيهم يارسول الله ؟ قال : لا ، قال : أفلا أؤذن بالرحيل ؟ قال : بلى ، فأذن عمر فى الناس بالرحيل .

واستشهد فى حصار الطائف من المسلمين اثنا عشر رجلاً سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجلٌ من ليث ، وبعد أن تولى المسلمون عن ثقيف قال رجل للرسول ﷺ :يا رسول الله ادع عليهم ، فقال ﷺ : « اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم » ، فلم يشأ ﷺ أن يدعو عليهم بل كان يرجو أن يأتوا جميعاً مسلمين ، حقاً إنه رحمة مهداه .

وقد تحققت أمنية الرسول ﷺ ، واستُجيب دعاؤه ، ولم تمض بضعة شهور حتى جاءته ثقيف مسلمة عن آخرها ، وارتفع نداء الحق بين جنبات الطائف ، وبنى أهلها مسجد الطائف المعروف اليوم فى ذلك المكان الذى عسكر فيه المسلمون وصلى بهم فيه رسول الله ﷺ .

تقسيم الغنائم :

وقد كان رسول الله ﷺ قد أرجأ تقسيم الغنائم التى غنمها المسلمون يوم حنين إلى حين الإنتهاء من جموع ثقيف المتحصنة فى الطائف ، وكان قد ترك تلك الغنائم فى « الجعرانة » لما استعصت حصون ثقيف على المسلمين ولم يشأ رسول الله ﷺ أن يقتحمها

عليهم كما فعل من قبل مع اليهود أملاً فى أن يأتى القوم المسلمين ، وبعد حصار دام بضعة وعشرين ليلة عاد النبى ﷺ إلى الجعرانة ليقسم غنائم حنين على المسلمين ، فكان عليه الصلاة والسلام يعطى عطاء من لا يخشى الفقر يتألف قلوب أناس دخلوا فى الإسلام حديثاً ولما يدخل الإيمان فى قلوبهم ، ولقد جاء قوم « هوازن » مسلمين نادمين على ما فعلوا وعلى اشتراكهم مع ثقيف فى حرب رسول الله ﷺ ، ودخلوا المدينة يعلنون توبتهم وإسلامهم ، ويسألون رسول الله ﷺ أن يرد عليهم نساءهم وأولادهم ، وكان عدد من سُبى منهم ستة آلاف ، فأجابهم رسول الله ﷺ لطلبهم فقال : « أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس فقوموا وقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبناءنا ونساءنا، فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم » ، فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر بالناس قام وفد « هوازن » فتكلموا بالذى أمرهم به رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : « أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم » ، فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، وقالت الأنصار نفس مقالة المهاجرين ، وتمسك ناس من المؤلفة قلوبهم بسبيهم ، فعوضهم رسول الله ﷺ عنه وردَّ إلى هوازن نساءهم وأموالهم جميعاً .

وسأل النبى عليه الصلاة والسلام وفد هوازن عن مالك بن عوف وكيف فعل ؟! ، فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ، فقال لهم :

« أخبروه أنه لو جاء مسلماً لرددنا عليه أهله وماله ، وأعطيناه مائة من الإبل » ، فبلغ مالكاً هذا الأمر ، فخرج من الطائف مستخفياً حتى أتى رسول الله ﷺ ، فردَّ عليه أهله وماله ، وأعطاه مائة من الإبل ، وأسلم مالك بن عوف وحسن إسلامه وقال شعراً فى مدح رسول الله ﷺ وكتائب المسلمين ، وكان مما قاله :

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله ... فى الناس كلّهم بمثل محمد

وإلى الكتيبة عرّدت أنيابها ... بالسمهرى[١] وضرب كل مهنّد[٢]

فكأنه ليث على أشباله ... وسط الهباءة خادر[٣] فى مرصد

وكان ممن أعطاهم رسول الله ﷺ من غنائم حنين وأجزل له فى العطاء من المؤلفة قلوبهم ، أبو سفيان بن حرب أعطاه مائة من الإبل ، ولابنه معاوية مائة مثلهم ، وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير كذلك ، ومثله الحارث بن كلدة ، وسهيل بن عمرو ، وعيينة بن حصن والأقرع ابن حابس ، ونفر غيرهم ، فكان لا يأتيه أحد منهم يسأله عطاءً إلا أعطاه ، بالرغم من أن هؤلاء لم يثبتوا فى الحرب ، إلا أن الرسول ﷺ كان يدرك حداثة إسلامهم وضعف إيمانهم فكان يتألف قلوبهم حتى يحببهم فى الإسلام .

ولما رأى الأنصار أن رسول الله ﷺ قد قسَّم الغنائم على هؤلاء

---

(١) السمرى : الرمح .
(٢) المهند : السيف .
(٣) خادر : مترقباً فى عرينه .

وهؤلاء ولم يعط أحداً من الأنصار شيئاً وهم من هم ، تكلموا فى ذلك الأمر فدخل زعيمهم سعد بن عبادة على رسول الله ﷺ فقال :يا رسول الله إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم لما صنعت فى هذا الفئ [١] ، الذى أصبت ، قسمت فى قومك وأعطيت عطايا عظاماً فى قبائل العرب، ولم يك فى هذا الحى من الأنصار منها شيء، قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ « يعنى وما رأيك أنت ؟» قال : ما أنا إلا من قومى يا رسول الله - يعنى رأيى مثلهم - ، قال ﷺ : « فاجمع لى قومك » ، فجمعهم سعد فدخل معهم ناس من المهاجرين فتركهم رسول الله ، وأراد آخرون أن يدخلوا فلم يأذن لهم ، فلما اجتمعوا ودخل عليهم رسول الله ﷺ ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: « **يا معشر الأنصار ، مقالة بلغتنى عنكم، وَجَدَةٌ [٢] وجدتموها عليّ فى أنفسكم ، ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله بى ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداءً فألف الله بين قلوبكم !** » قالوا : بلى ، والله ورسوله أمن وأفضل [٣] ، ثم قال ﷺ : « **ألا تجيبونى يامعشر الأنصار** »؟ قالوا : بما نجيبك يارسول الله ؟ لله ورسوله المن والفضل ، قال ﷺ : « أما والله لو شئتم لقلتم فلَصَدَقْتُم ولصُدِّقتم : أتيتنا مكذباً

---

(١) الفيئ : الغنائم .
(٢) المقصود : غضب وملامة .
(٣) يعنى أكثر منّة وفضلاً .

فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلاً فآسيناك ، أوجدتم يامعشر الأنصار فى أنفسكم فى لعاعة [(١)] ، من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ! ، ألا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحاكم ؟!، فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس شِعباً [(٢)] ، وسلك الأنصار شِعباً لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار ، فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم » [(٣)] ، وقالوا : رضينا برسول الله ﷺ قسماً وحظاً ، ثم انصرف وتفرقوا » [(٤)] .

هكذا أوضح رسول الله ﷺ للأنصار أنه قد وكلهم إلى إسلامهم لأنه يعلم صدق إيمانهم بالله ورسوله ، وقسم الغنائم على فئة من لم يدخل الإيمان قلوبهم ليتألفهم بها ، وتلك الغنائم مهما بلغت فإنما هى لعاعة من الدنيا لا تغنى عن الإيمان بالله ورسوله ، والآخرة وثوابها خير وأبقى للذين يدركون قيمتها من المؤمنين ، ومنهم الأنصار ، وإن رجع الناس بالشاة والبعير فرحين بها ، فإن الأنصار سوف يرجعون إلى المدينة ومعهم الحبيب محمد ﷺ وصحبته خير من الدنيا وما فيها .

---

(١) لعاعة : أى « شيئ قليل » أو بقية يسيرة .
(٢) شعباً : طريق .
(٣) المقصود : بللو لحاهم من كثرة البكاء .
(٤) رواه أحمد وغيره ، ومثله فى صحيح البخارى .

الدروس المستفادة :

١ - حرص الرسول ﷺ على إسلام أهل الطائف والدعاء لهم بالهداية ويدل ذلك على إخلاص الرسول ﷺ فى دعوته ، ورحمته بالناس التى بلغت حداً عظيماً .

٢ - كسب الرسول ﷺ ضعاف الإيمان لصف الإسلام والمسلمين بإغداق الغنائم عليهم ، لاستمالتهم للإسلام ولإتقاء شرهم .

٣ - ذكاء النبى ﷺ فى تعامله الحربى ، وفى استمالة قائد هوازن مالك بن عوف وكسب قلبه للإسلام .

٤ - معالجة الرسول ﷺ ما حدث فى صف المسلمين من غضب بحكمة بالغة وتطيب خاطر الأنصار ، وذكر فضلهم بمناصرة الرسول ﷺ زيادة والإسلام ونصرة الحق ، وتوضيح أمر الغنائم وحكمة تقسيمها على قريش والمؤلفة قلوبهم .

٥ - أن الدنيا بنعيمها كله لا تساوى شيئاً بمقياس الآخرة ، وأنها ليست دليلاً على منزلة الإنسان عند الله تعالى ، فالله تعالى يعطى الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب ، ولا يعطى الآخرة إلا لمن يحب ، ويتضح ذلك فى تقسيم الغنائم ، وإغداق النعم على أناس ضعاف الإيمان وترك المؤمنين لإيمانهم ، ولأنهم استغنوا

عن المال بالإيمان فلم يطلبوا الدنيا لذاتها ، وإنما كانت عوناً لهم على الدين ، فقد كان من المؤمنين أغنياء لكنهم كانوا لله متواضعين يرجون رحمته ويخافون عذابه ، ويؤدون حقه ، ويتصدقون على عباده المحتاجين .



أسئلة :

١ – ما مدة حصار المسلمين للطائف ، ولِم رحل المسلمون بغير فتح الطائف واقتحام حصونها ؟ .

٢ – لما تولى المسلمون عن ثقيف قال رجل : يارسول الله ادع عليهم فماذا ردَّ عليه رسول الله ﷺ ؟.

٣ – جاءت قوم « هوازن » مسلمين تائبين للرسول ﷺ يطلبون نساءهم وأبناءهم ممن سباهم المسلمون فى حنين . فماذا كان رد الرسول ﷺ عليهم ، وماذا فعل المسلمون معهم ؟ .

٤ – بماذا وعد رسول الله ﷺ مالك بن عوف سيد هوازن وماذا كانت نتيجة ذلك ؟ .

٥ – لماذا أغدق الرسول ﷺ العطايا للمؤلفة قلوبهم والحديثى العهد بالإسلام .

٦ – تكلّم الأنصار فى أمر تقسيم الغنائم ، وقد وجدوا فى أنفسهم شيئاً ، فماذا فعل رسول الله ﷺ معهم .



[غـــزوة تبـــوك]

الزمان : فى شهر رجب من السنة التاسعة للهجر ة.

المكـان : فى تبوك شمال المدينة ناحية الشام .

أسباب الغزوة :

وصلت إلى المسلمين أخبارٌ بأن الروم قد تجهزت لحرب المسلمين فى جيش قوامه أربعين ألف مقاتل بالبلقاء بالشام ، وتجمع معهم بعض نصارى العرب من القبائل المجاورة والمتحالفة معهم ، فتقدم المسلمون لحربهم .

أحداث الغزوة :

أمر النبى ﷺ أصحابه بالتجهز لغزو الروم ، وكان ذلك فى وقت حرٍ شديد ، وفى عام قحط وشدة ، وفى وقت قد أوشكت فيه الثمار أن تنضج والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالها ، وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج فى غزوة إلا ورَّى (١) ، بغيرها ، إلا ما كان فى هذه الغزوة ، فإنه بيَّنها للناس لبعد الشقة (٢) ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو وبأسه ،

---

(١) يعنى ذكر غيرها تورية حتى لا يعلم بها الأعداء .

(٢) لبعد المسير .

وذلك ليتأهب الناس لذلك ويستعدوا ، ثم جدَّ رسول الله ﷺ فى السفر وأمر الناس بالإستعداد ، وحض أهل المال والغنى على الصدقة والتطوع للجيش ومدة بالمال والسلاح ، فجاء الأصحاب الكرام كلٌ بما أفاض الله عليه من الخير ، فتصدق أبو بكر بما يملك من مال ، وتصدق عمر بنصف ماله ، وتصدق عثمان بأكثر من ثلاثمائة بعير كاملة مجهزة للحرب والقتال ، ومال كثير ، حتى قال عنه رسول الله : « **ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم** »[(١)] ، وجاء أُناس فقراء يريدون الخروج للجهاد ولكن لا يملكون زاداً ولا راحلةً ، فطلبوا من الرسول ﷺ أن يوفر لهم الزاد والراحلة حتى يجاهدوا معه ، ولم يكن عند رسول الله ﷺ فضل مال ليحملهم به ، فقد تجهز الجيش بما أنفقه المسلمون ، ولم يتبق شيء آخر ليحمل هؤلاء المساكين عليه ليخرجوا معه الجهاد ، فماذا يفعل هؤلاء؟ لقد أعذروا إلى الله تعالى ، وليسوا يملكون شيئاً! .

فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع ، وكان منهم عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مغفل قابلهما ابن ياميس بن عمير بن كعب النضرى وهما يبكيان ، فقال : ما يبكيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندما ما نتقوى به على الخروج معه ، فأعطاهما بعيراً له كان يستقى عليه الماء ، فارتحلا،

---

(١) رواه الحاكم وصححة ووافقه الذهبى .

وزودهما شيئاً من تمر ، فخرجا مع رسول الله ﷺ ، وقد فرحا فرحاً شديداً لتحقق مرادهما وهو الجهاد فى سبيل الله ، وقد ذكر الله تعالى أمر هؤلاء القوم الذين بكوا لأنهم لم يملكوا الزاد أو الراحلة للجهاد فى سبيل الله فى كتابه العزيز فقال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ (٩٢) ﴾ (١) .

وكان من الفقراء أيضاً الذين تمنوا الخروج للجهاد مع رسول الله ﷺ فى هذه الغزوة لكنه لم يكن يملك ما يتقوى به ، ولم يجد الرسول ﷺ ما يحمله عليه ، وهو « علية بن يزيد » فماذا فعل ؟! ، لقد قام من الليلى يصلى ، فتهجد ما شاء الله له ثم بكى وقال : اللهم إنك أمرت بالجهاد ورغبت فيه ، ثم لم تجعل عندى ما أتقوى به ، ولم تجعل فى يد رسولك ما تحملنى عليه ... وإنى أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابنى فيها من مال أو جسد أو عرض ، فلما أصبح الرجل فى الناس ، قال رسول الله ﷺ : أين المتصدق هذه الليلة ؟ فلم يقم أحد ، ثم قال : أين المتصدق ؟ فليقم ، فقام إليه فأخبره ، فقال

---

(١) سورة التوبة الآيات « ٩١ ، ٩٢ » .

رسول الله ﷺ : « أبشر ، فوالذى نفسى بيده لقد كتبت لك فى الزكاة المتقبلة »[(١)] .

فى هذا الجو المفعم بالإيمان وحب الجهاد فى سبيل الله ، والسعى الحثيث نحو ثواب الآخرة ، قعدت بأناس هممهم الوضيعة ، ونفوسهم الدنيئة ، فتركوا الجهاد فى سبيل الله ، وهم المنافقون وقالوا : لا تنفروا فى الحر ، وقد ردّ الله تعالى عليهم فى القرآن الكريم ، فقال : ﴿ وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[(٢)] ، إنهم لم يخرجوا يوماً فى سبيل الله ، وما خرجوا للقتال من قبل إلا طلباً للغنائم ، وكانوا أول المدبرين عند الشدائد .

وتحجج بعضهم بحجج فارغة وكان منهم « الجد بن قيس » ، قابله رسول الله ﷺ فسأله : هل لك العام فى جلاد بن الأصفر ؟[(٣)] قال : يا رسول الله ائذن لى ولا تفتنى ، فوالله لقد عرف قومى أنه ما من رجل بأشد عجباً بالنساء منى ، وإنى أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر أن لا أصبر ، فأعرض عنه رسول الله ﷺ ، وقال : « أذنت لك » ، وكأن هذا الرجل كان سيخرج لرحلة ترفيهية يرى فيها النساء ، ولن

---

(١) رواه ابن إسحاق وغيره ، وصححه العلاّمة الألبانى فى تخريجه للأحاديث « فقه السيرة » للشيخ محمد الغزالى .

(٢) سورة التوبة « ٨١ ، ٨٢ » .

(٣) يعنى قتال الروم .

يخرج لجهاد فيه شغل شاغل ، وقد عقَّب القرآن الكريم على هذا أيضاً بقوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ۝ ﴾ [١] .

تحدث تلك النكوصات عن الجهاد فى ظل تلك الظروف، والقرآن الكريم يناديهم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ۝ إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾ [٢] .

ويستيقظ الضمير الحى فى قلب رجلٍ من المسلمين ممن تخلفوا عن رسول الله ﷺ وهو « أبو خيثمة » وذلك حين يدخل عن أهله فيجد زوجتيه قد أعدتا له الطعام الشهى والماء البارد ، وقد أعدتا الجو وهيئتاه لراحته ، فيتذكر الرسول ﷺ والصحابة فيقول : رسول الله فى الشمس والحر والريح وأبو خيثمة فى ظل بارد وطعام مهيأ ، وامرأة حسناء فى ماله مقيم ، والله ما هذا بالنَّصَف !! [٣] ، فأقسم بالله لا يدخل عرين أحد من زوجتيه حتى يلحق برسول الله ﷺ ، وأمر زوجتيه أن يهيأ له زاد وراحلة ، ثم ارتحل مسرعاً ليحلق بجيش الإيمان وكتائب

---

(١) سورة التوبة الآية « ٤٩ » .
(٢) سورة التوبة الآيات « ٣٨ ، ٣٩ » .
(٣) النصف : يعنى الإنصاف .

الحق ، ولحق أبو خيثمة بالجيش عند تبوك ، ولما رآه المسلمون قادماً من بعيد ولم تتحدد بعدُ ملامحه ، قالوا للرسول ﷺ : هذا راكب على الطريق مقبل ، فقال رسول الله ﷺ : « كن أبا خيثمة » ، ولما أقبل قالوا : هو والله أبو خيثمة .

لقد كان يعلم النبى ﷺ صدقه ، وقد علم أن ضميره الحى سوف ينقذه من التهلكة والقعود مع المخلفين .

ولقد كانت تلك الرحلة الشاقة نحو تبوك مليئة بالجهاد والمثابرة ، ومكافحة الجوع والعطش ، والتعب والنصب ، فقد كان الحر شديداً ، وقد كان كل ثلاثة يتعاقبون على بعير واحد ، وبلغ العطش منهم مبلغاً عظيماً حتى اضطروا لأن ينحروا بعض الإبل ، ليشربوا ما فى بطونها من ماء ، ولما اشتد بهم العطش ولم يجدوا شيئاً قال أبو بكر لرسول الله ﷺ يارسول الله: أدع الله لنا ، فرفع الرسول ﷺ يده إلى السماء بالدعاء ، فأمطرت السماء ، وملأ المسلمون ما معهم من أوعية ، حتى إذا جاوزوا ذلك المكان لم يجدوا أثراً للماء ، فقد أمطرت فى مكانهم فقط .

ومن جهد المسير كان يتخلف بعض الناس ثم يلحقون بالركب ، وكان ممن تخلف « أبو ذر الغفارى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » ، فقال الناس : يا رسول الله قد تخلف أبو ذر ، قال : « إن يكُ فيه خيراً سيلحقه الله بكم » ، وكان بعير أبى ذر قد تبطأ فحمل أبو ذر متاعه على ظهره وتتبع أثر المسلمين ماشياً حتى لحق بهم ، ولما رأه المسلمون من بعيد قالوا : هذا

رجل قادم يمشى وحده ، فقال عليه الصلاة والسلام : « كن أبا ذر » ثم قال : « **رحم الله أبا ذر يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويبعث يوم القيامة وحده** » ، وقد مات أبو ذر فعلاً وحده فى مكان يمسى الربذة ، ولم يكن معه حينها إلا امرأته وغلامه ، وكان ذلك فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنهم جيمعاً .

ومرَّ المسلمون فى طريقهم إلى تبوك بديار ثمود وآثارهم الباقية ، فقال رسول الله ﷺ لصحابته : « **لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تبكوا فلا تدخلوا عليهم ، أن يصيبكم ما أصابهم** » (١) ، فالمرور على ديار هؤلاء المجرمين الذين كذبوا رسولهم وعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم لابد أن يكون للعبرة والعظة ، لا للهو أو العبث ، فتلك الآثار باقية لتنذر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وحينما وصل المسلمون أرض « تبوك » لم يجدوا جموع الروم ولا حشودهم العسكرية ، لقد آثر الروم السلامة وجبنوا حينما سمعوا بمقدم جيوش المسلمين ، وقذف الله فى قلوبهم الرعب ، وصالح المسلمون القبائل النصرانية التى هناك ، وعقدوا معهم عهداً وميثاقاً ، وكان ممن دخل فى العهد قبائل « أيلة » ، « تيماء » ، و « دومة

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

الجندل » ، وغيرهم ، ومكث المسلمون فى « تبوك » بضعة عشر يوماً ينتظرون ماذا سيفسر عنه اختفاء الروم حتى أيقنوا أن القوم آثروا السلامة وعدم مواجهة المسلمين ، بعدما عرفوا قوتهم وبسالتهم ، وحبهم للشهادة فى سبيل الله .

وفى هذه الغزوة كان قد خرج جميع المسلمين إلا من كان له عذر أو من كان فقيراً لا يجد ما يحمل عليه ، وجمع من المنافقين اعتذر بعضهم واستأذن فأذن لهم الرسول ﷺ وهو عليه ساخط لأنه ليس لهم عذر ، وتخلف جمع من المنافقين لم يستأذنوا ، وتخلف ثلاثة من المؤمنين الصادقين وهم « كعب بن مالك » ، و « مرارة بن الربيع » ، و « هلال بن أمية » ، ومن المعلوم أن عليّ بن أبى طالب - رضي الله عنه - » لم يشهد هذه الغزوة لأن النبى ﷺ استبقاه فى المدينة ليقوم عليها ، فغمض عليه المنافقون فخرج ليلحق بالرسول ﷺ ، وقال له مسترضياً إياه : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟! إلا أنه لا نبى بعدى »[1] .

وقد نزل القرآن الكريم بآياته البينات فى سورة التوبة ليبين مواقف المؤمنين ومواقف المنافقين فى غزوة تبوك والتى سميت «بغزوة العسرة » لتعسر الحال وشدته فى تلك السنة ، وهى أكثر آيات نزلت فى غزوة

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

من الغـزوات ، ومن المواقف الجليلة فى هذه الغـزوة مـوقف المخلفين الثلاثة الذين أبو إلا الصدق مع الله ومع النفس ، وهذه قصتهـم .

الثلاثة الذين خُلِّفوا :

وبعدما رجع المسلمون من « تبوك » ، دخل رسول الله ﷺ المسجد وجاءه المخلفون عن الغزوة ، كل يقول عذره ويقبله النبى ﷺ ويستغفر له ، وهو يعلم أنه كـاذب ، لكن يرجـو الله أن يغـفـر الله ويهـديه ، إلا ثلاثة نفر هم الذين اعترفوا بتخلفهم من غير عذر ، وأن نفوسهم قد انتصرت عليهم فأقعدتهم عن الغزو مع رسول الله ﷺ ، ولنترك الحديث لأحدهم يحكى لنا قصتهم ، يقول « كعب بن مالك » :

« ... وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، فطففت أغدو لكى أتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض شيئاً ، فأقول فى نفسى أنا قادر عليه ، فلم يزل يتمادى بى حتى اشتد بالناس الجد ، فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه ولم أقض من جهازى شيئاً ، فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز ، فرجعت ولم أقض شيئاً ... حتى أسرعوا وتفارط الغزو ، فكنت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم أحزننى أنى لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق ، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء ، فلما بلغنى أن رسول الله

ﷺ توجه قافلاً [١] حضرني همي ، وطفقت أتذكر الكذب ، وأقول بماذا أخرج من سخطه ، واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من أهلى ، فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظلَّ قادماً زاح عنى الباطل ، وعرفت أنى لن أخرج أبداً بشيء فيه كذب ... .

فجئته – فى المسجد – فلما سلمت عليه تبسَّم تبسُّم الْمُغضَب، ثم قال : « تعالى » ، فجئت أمشى حتى جلست بين يديه ، فقال لى : «ما خلَّفك ؟! ، ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟! » [٢] ، فقلت : بلى ، إنى والله – يا رسول الله – لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلاً [٣] ، ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ، ليوشكن الله أن يسخطك عليّ ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليَّ فيه [٤] ، إنى لأرجو فيه عفو الله ، لا والله ما كان لى من عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك ، فقال رسول الله ﷺ : « أما هذا فقد صدق الله ، فقم حتى يقضى الله فيك » ، فقمت ، وسار رجال من بنى سلمة فاتبعونى ، فقالوا : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون

---

(١) يعنى : راجعاً إلى المدينة .
(٢) يعنى : اشتريت راحلتك .
(٣) يعنى : أستطيع أن أجادل وأقنع الذى أمامى برأيى .
(٤) يعنى : تغضب به على .

اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون ، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك ، ثم قلت لهم : هل لقى هذا معى أحد ، قالوا : نعم ، رجلان قالا مثلما قلت : فقيل لهما مثلما قيلك لك ، فقلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العمرى ، وهلال بن أمية الواقفى ، فذكروا لى رجلين صالحين ، قد شهدا بدراً ، فيهما أسوة ، فمضيت حين ذكروهما لي ، ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف ، فاجتنبنا الناس ، وتغيروا لنا ... فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، أما صاحبى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم [١] ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف فى الأسواق ولا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى : هل حرّك شفتيه برد السلام عليّ أم لا ...

فبينما أنا أمشى بسوق المدينة إذا « برجل » يقول : من يدل على كعب ؟ فطفق الناس يشيرون إليّ ، حتى إذا جاءنى دفع إليّ كتاباً من ملك غسّان فإذا فيه : أما بعد ، فإنه قد بلغنى أن صاحبك قد جفاك [٢] ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا

---

(١) أكثرهم شباباً وقوة .
(٢) يقصد محمداً ﷺ .

نواسك [١] ، فقلت لما قرأتها : وهذا أيضاً من البلاء ، فتيممت بها التنور فسجرته بها [٢] ، حتى إذا مرت أربعون ليلة من الخمسين ، إذا برسول رسول الله ﷺ يأتينى فيقول : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك ، فقلت : أطلقها ؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تقربها وأرسل إلى صاحبى مثل ذلك ، فلبثت بعد ذلك عشر ليال ، حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا ، فلما صليت الفجر صبح خمسين ليلة ، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال التى ذكر الله تعالى ، قد ضاقت على نفسى وضاقت على الأرض بما رحبت ، سمعت صوت صارخ ... يا كعب بن مالك أبشر ، فخررت ساجداً وعرفت أنه قد جاء فرج الله ، وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ... وانطلقت إلى رسول الله ﷺ فيتلقانى الناس فوجاً فوجاً ، يهنؤننى بالتوبة ... حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس ، فقام إلىّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وهنأنى ، والله ما قام إلىّ رجل من المهاجرين غيره ، ولا أنساها لطلحة ، فلما سلمت على رسول الله ﷺ ، قال وهو يبرق وجهه من السرور : « أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك » قلت : أمن عندك يارسول الله ؟ أم من عند

---

(١) يعنى : تعال عندنا نكرمك .

(٢) يعنى : قذفها فى الفرن ليشتعل بها .

الله ؟ ، قال : « لا بل من عند الله » ، قلت : يا رسول الله إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة لله ورسوله ، قال : « أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك » ، فقلت يا رسول الله : إن الله نجانى بالصدق ، وإن من توبتى ألاَّ أحدِّث إلا صدقاً ، وأنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨) ﴾ [١] .

وليس الذى ذكر الله مما خُلِّفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا [٢] ، وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه قبل منه » [٣] .

◇-◇-◇

---

(١) سورة التوبة الآيات « ١١٧ - ١١٨ » .

(٢) يقصد أن المقصود من قوله تعالى : ﴿ الذين خلفوا ﴾ ليس عن المعركة وإنما عن قبول التوبة والمعذرة من الله تعالى.

(٣) ذكرنا هذه القصة بإختصار عن صحيح البخارى « كتاب المغازى » وهو فى صحيح مسلم أيضاً .

الدروس المستفادة :

١ - لابد أن يفعل المرء شيئاً إذا حالت الظروف بينه وبين قتال الأعداء ، وذلك رجل من المسلمين لم يملك شيئاً يقدمه فى سبيل الله ولم يستطع الخروج للغزو فتصدق بعرضه على المسلمين فقبل الله منه صدقته .

٢ - وجوب مساعدة المسلمين فى الحروب ، مدّ الجيش بالمال والسلاح والتصدق بما يفتح الله على المسلم من خير .

٣ - وجوب مجاهدة النفس ، وعدم الإستسلام لها ، والإسراع إلى الخير حتى ولو فات الإنسان منه جزءً ، فلا يتبع خطوات الشيطان ، وليلحق بركب الإيمان ، فى أى وقت ، ولا يلهو ويعبث فى وقت الجد والحاجة إلى الجهاد .

٤ - عندما يمر الإنسان بديار القوم المعذبين فعليه أن يأخذ العبرة والعظة ، ويبكى على حالهم ، ولا يستهين بما أصابهم الله به من جراء تكذيبهم الرسل .

٥ - الصدق ينجى صاحبه ، فليتحر الإنسان الصدق مع الله ومع النفس ومع الناس .

٦ - استحباب تبشير الإنسان بالخير ، وبما يحب ، وتهنئته عند حدوث ما يسره ، وما ينفعه فى الدنيا والدين .

٧ - الصبر عند البلاء ، حتى يأتى الفرج ، فالله سبحانه لطيف بعباده رحيم بهم ، وكلما اشتد البلاء كلما قرب الفرج .

٨ - استغلال أعداد الإسلام نقاط الضعف عند أفراد المجتمع المسلم خاصة ، إذا كانوا على خلاف مع القائد ، أو كان المجتمع لا يحسن معاملتهم ، فيجب الحذر من مثل هذا الأمر ، ولنعلم أن أمر مقاطعة أحد من المسلمين ليس بيد أحد ولم يحدث إلا من الرسول ﷺ للمخلفين .



أسئلة :

١ - كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى غزوة ، ورّى بغيرها إلا غزوة تبوك فإنه أخبر بها ، لماذا ؟ .

٢ - تصدق عثمان بصدقة عظيمة لتجهيز جيش العسرة ، فماذا كانت صدقته ؟ ، وماذا قال عنه رسول الله حينئذ ؟ .

٣ - تصدق رجل يوم تبوك بعرضه على المسلمين ؟ لماذا ؟! وهل قُبلت صدقته ؟ .

٤ - أذكر حجج المنافقين للهروب من القتال ، ومواجهة جيش الروم .

٥ - رجل تأخر عن المسلمين ، لكن ضميره الحي تيقظ فى الوقت المناسب ، فلحق بالمسلمين عند تبوك ، من هو ؟ .

٦ - مرّ المسلمون فى طريقهم إلى تبوك بديار ثمود قوم سيدنا صالح عليه السلام ، فماذا قال لهم رسول الله ﷺ عندئذ ؟ .

٧ - تخلف يوم تبوك أصحاب الأعذار والمنافقون ، وثلاثة بغير عذر من هم هؤلاء الثلاثة .

٨ – ما الذى أنقذ كعب بن مالك وصاحبيه ونجاهما ، وجعل الله يقبل توبتهما ؟! .

٩ – تعرض كعب بن مالك لفتنة أخرى ، غير فتنة التخلف عن الغزو ، ومقاطعة المسلمين له فترة من الزمن ، فما هل تلك الفتنة ؟ .



فهرس

رقم الصفحة

- المقدمة ٥
- غزوة بدر الكبرى ٧
- غزوة بنى قينقاع ٢١
- غزوة أُحد ٢٧
- إجلاء بنى النضير ٤٨
- غزوة ذات الرقاع ٥٥
- غزوة بدر الآخرة ٦٣
- غزوة بنى المصطلق ٦٨
- غزوة الأحزاب ٧٦
- غزوة بنى قريظة ٩٥
- أمر الحديبية ١٠٧

- غزوة خيبر ١٢٤
- غزوة مؤتة ١٣٣
- غزوة فتح مكة ١٤٣
- غزوة حنين ١٥٨
- حصار الطائف ١٦٧
- غزوة تبوك ١٧٧
- الفهرس ١٩٤



من أحدث مطبوعات دار الإيمان

السيرة النبوية ﷺ للأطفال

إعداد

حسن زكريا فليفل

عفا الله عنه



